

أمل دنقل

الروح والسياسة عبرة الكارثة



www.egyptsons.com

أهل دنقل

الأستاذ الدكتور محمد عبد الوهاب

مكتبة مدبولي

القاهرة

مكتبة مدبولي

القاهرة

مقدمة

الدكتور / عبدالعزيز المقالح

« أمل دنقل . . أحاديث وذكريات »

لم تكن وفاة أمل دنقل مفاجأة لأحد من الأدباء في الوطن العربي . فقد كان كثير منهم يعيشون على أعصابهم قلقاً وانتظاراً لاعلان نبأ الوفاة ، فمنذ ثلاثة أعوام والشاعر الكبير يتعذب ويتساقط قطرة قطرة ونبضاً نبضاً ، وكان واضحاً بعد اكتشاف نوع الداء الذي انتبش أظافره في الجسد النحيل أنه لن يبرح حتى يسلمه للموت ، وأنه لا أمل في العلم ، وأن أقصى ما يقدمه للإنسان العاجز لا يزيد عن تأخير ساعة الوفاة أو إطالة أيام العذاب !!

ومن الملاحظ - ألاحظ ذلك في نفسي - أنه بالرغم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٨٧ - ١٤٠٧ هـ

وأقربها إلى الوجدان العام - ولأن النهاية دائماً هي الأقرب
وهي في حد ذاتها الذاكرة التي لا تمحي فلإننا سنبدأ من
النهاية .

الحديث الأخير :

حدثني صديق كان في القاهرة منذ أسابيع فقال :
ذهبت إلى المستشفى الذي يرقد فيه الصديق المشترك أمل
دنقل ، دخلت الجناح الذي يقيم فيه ، وسألت إحدى
الممرضات عنه فأشارت بيدها نحو غرفة معينة ، فتحت
الباب ونظرت داخل الغرفة باحثاً عن أمل الذي ودعته منذ
خمس سنوات ، لم أجده هناك رأيت إنساناً لا يمكن أن
يكون هو الشخص الذي أعرفه عدت أدراجي بعد أن
أغلقت الباب ورائي وذهبت مرة أخرى إلى الممرضة
لأسألها عن غرفة أمل دنقل الشاعر ، فأشارت مرة أخرى
إلى نفس الغرفة ، وعدت لأفتح الباب وأفتش في جوانب
الغرفة عن أمل فلم أجده وهممت بالتراجع مرة ثانية إلا أن
أمل عرفني فناداني باسمي . صوته هو الذي لم يتغير ، أما

من أن وفاة الشاعر الكبير لم تكن مفاجأة إلا أن إعلانها
المتأخر قد هز المشاعر وكان بمثابة صدمة عنيفة لأصدقاء
الشاعر ومحبيه أفقدهم القدرة على الكتابة الشعرية أو
الثرية على حد سواء ، وبما أنني أحد أصدقاء أمل دنقل
واحد الذين رافقوه وقرأوه عن قرب ، فقد أفقدني النبأ
المتوقع القدرة على التفكير والقدرة على الإمساك بخيوط
التعبير عن ألم الوداع ، واكتفيت باسترجاع بعض
الأحاديث والتقاط صور بعض الذكريات الغارقة في قاع
الذاكرة ، وبعض هذه الأحاديث والذكريات يعود إلى أيام
قليلة وبعضها الآخر يرجع إلى سنوات ، فقد عرفت
الشاعر الراحل في أواخر الستينات وقبل أن يظهر ديوانه
الأول الذي شغل به الشعراء . وقد ربطت بيننا - منذ أول
لقاء - مودة كبرت مع الأيام واتسعت في رحاب الكلمة
وزاد تقديري له وإعجابي به عندما أصبح شعره كله صوتاً
مكرساً لقضية الشعب العربي في مصر . وبما أن الأحاديث
والذكريات عن أمل دنقل الصديق والشاعر - كثيرة
وحاضرة بكل وقائعها ورموزها فإني سأحاول اختيار أقلها

جسمه فقد صار شيئاً آخر ، أي عذاب رهيب يفوق الخيال هذا الذي تعرض له الشاعر؟ هكذا سألت نفسي وأنا أتوجه نحو السرير الذي يرقد عليه ، وكنت قد قررت أن أتمالك وأن لا يبدو على وجهي أي تأثر أو انفعال يثير في نفسه ، ، الألم ، الأثني ما كدت أراه بتلك الحال حتى انفجرت باكياً ، لكنه قابل بكائي بابتسامة عريضة ثم سألتني : لماذا تبكي؟ تخاف علي من الموت إنها منيتي المفضلة ، إنه الأمل الأخير ، الطبيب الذي يتفوق دائماً على أمهر الأطباء .. وواصل ابتسامته المنكسرة ، ولأحظت أن قدراً كبيراً من الشجاعة ظل يشع من ملامح وجهه الغائر ..

ومضيت مع الصديق نتجاذب أطراف الحديث وتذكر أمل دنقل القديم ، سنوات العذاب الطويل ، أيام التسكع والجوع ، خلال الفترة التي اشتدت فيها وطأة القهر والظلم والفقر والمطاردة على أمل دنقل قبل أن تشتد عليه وطأة المرض القاتل . قال لي الصديق الذي لن أذكر اسمه بسبب الفقرة التالية من الحديث : لقد كنت في

القاهرة منذ سبع سنوات ، رايت خلالها أمل دنقل ادتر من مرة وذات يوم رأيت كالعادة يذرع الطرقات بحثاً عن صديق يدفع له ثمن الغداء . وعندما رأني توجه نحوني قائلاً : نصف جنيه ، نصف جنيه فقط ثمن الغداء .

وعندما كنت معه في المستشفى منذ أسابيع مددت يدي إلى جيبي وأخرجت خمسمائة جنيه وقدمتها إليه في خجل ، ضحك أمل دنقل من تصرفي غير المهذب ، وقال لي : اطو أوراقك يا أخي فلم أعد بحاجة إليها ، كنت منذ سنوات كما تذكر بحاجة إلى ورقة واحدة منها ، وكانت ورقة واحدة تكفي لتسعدني يوماً أو أكثر أما الآن فلا قيمة لها عندي ، إن ما في العالم من هذه الأوراق لا سز شعرة في جفني ، ولا يخفف ألم دقيقة واحدة من عذاب الطويل المرير !!

أطياف ذكري :

كان قد نشر عدداً غير قليل من القصائد حين التقيت به لأول مرة ، لكنه لم يكن قد أصبح مشهوراً ،

وكان وثيق الصلة بشاعرين من أكبر شعراء القصيدة الجديدة في مصر هما : صلاح عبدالصبور وأحمد المعطي حجازي ، وكانت علاقته بالأخير وتأثره بشعره أوضح وأصرح . وفي الأعوام الأولى التي تعرفت فيها على أمل ابتداء من عام ١٩٦٦ كان أكثر التصاقاً بحجازي وأكثر تأثراً وتقليداً لطريقته في الحياة قبل أن يصير له أسلوبه الخاص وحياته المطلقة التي زادت الظروف في تعقيدها وزادت في الوقت ذاته من عفويتها .

وكانت هزيمة حزيران ٦٧ بداية الانعطاف الحقيقية نحو الشهرة ونحو الشعر ، وليس في هذا ما يمس بعبقرية الشاعر من قريب فقد كرست المآسي العظيمة الشعراء العظام ، ومأساة فلسطين هي التي خلقت وكرست أهم شعرائنا أمثال : محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما ، وفي الأيام الأولى للنكسة أو الهزيمة كان أمل دنقل يقرأ قصيدة (زرقاء) قبل النشر وهي قصيدة جريئة أكدت خطواته على طريق الشعر ، وكانت عنواناً لأهم دواوينه (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) كنت يومئذ بجواره ،

حد تحذيره عن مجرد التلفظ بها حتى لا يناله الأذى ، لكنه لم يتردد وسارع في نشرها وجعلها بعد ذلك عنواناً لديوانه الأول ، كما قرأها في أكثر من منتدى شعري وفي أكثر من ملتقى أحوي . . وفي ماتبقى من عام ٦٧ وإلى أوائل السبعينات كانت القصيدة على كل لسان ، فليس قبلها قصيدة وليس بعدها قصيدة نالت ما نالته من الشهرة والذيع ، فقد ارتبطت بالجرح القومي الأكبر ، وكانت تعبيراً عميقاً وصادقاً عن موقف عنترة (الشعب العربي) الذي تركه الحكام في صحراء الإهمال يسوق النوق إلى المرعى ويحتلب الأغنام ويحترق أحلام الخصيان حتى إذا ما اشتدت الحرب وأعلنت المعركة ذهبوا إليه يستصرخون فيه روح الحمية ويدعونهم إلى الدفاع عن قصورهم المضاء بالمرات وألوان الترف .

كانت القصيدة شجاعة وجارحة ، وقد وضعت الأدب الحزيراني من أول يوم في موضعه الصحيح قبل أن

يحاول بعض الشعراء والكتاب أن يجعلوا منه شيئاً آخر ،
فقد حاول أمل دنقل ونجح في أن يجعل منه أدب مقاومة ،
مقاومة للأخطاء النابعة من الداخل ، ومقاومة للعدوان
القادم من الخارج ، أدب مجالدة وتحد لا أدب استسلام
ولطم حدود وبكاء عاجز على اللبن المراق في صيف
التعاسة والانكسار !! وكان لا بد لعنترة (الشعب العربي)
أن يثبت بالدليل القاطع غيابه التام عن المعركة التي دارت
بين السلطة التي لا يشك في وطنيتها وفي غرورها وبين
العدو الذي لا يشك في خطره وغطرسته وتنامي أطماعه :

أيتها النبوة المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سكت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لي « أخرس .. »

فخرست .. وعميت .. واثمتت بالخصيان

ظللت في عبيد (عبس) أحرس القطعان

اجتز صوفها ..

أرد نوقها ..

أنا في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسة

وها أنا في ساعة الطعان ..

ساعة أن تحاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان ..

دعيت للميدان

أنا الذي ما ذقت لحم الضان ..

أنا الذي لا حول لي أو شان ..

أنا الذي اقصيت عن مجالس الفتيان ،

أدعى إلى الموت .. ولم أدع إلى المجالسة ..

تكلمي أيتها النبوة المقدسة ..

تكلمي .. تكلمي ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظميء .. يطلب المزيداً ..

أسائل الصمت الذي يخنقني .

« ما للجمال مشيها وفيدا .. !؟ »

(ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص ٢٨ دار
العودة) .

ولم يقف الشاعر عند حدود هذه الشكوى ولا عند
حدود هذه التساؤلات الفاضحة لما حدث في صبيحة
الخامس من يونيو ، وهو لا يكتفي باستدعاء زرقاء اليمامة
ولكنه في قصيدة أخرى كتبها في الذكرى الأولى لمناخ الهزيمة
يستدعي المتنبي ويجري بينه وبين كافور حواراً ساخراً حول
مصر - خولة - الفتاة العربية التي اختطفها الرومان من
- أريحا - بعد أن ذبحوا شقيقها :

« سا. ابي كافور عن حزني

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدة . . كالقطة

تصيح (كافوراه . . كافوراه)

فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية

تجدد كي تصيح (واروماه . . واروماه . .)
. . لكي يكون العين بالعين
والسن بالسن ! ! »

ويصل الانفعال مداه ، كما تصل الشجاعة أيضاً
مداها في محاولته الجريئة فضح القيادة العسكرية المهلهلة ،
وقد استخدم عنصر التضمين الشعري كأقوى وأجود ما
يكون الاستخدام وأصبحت الأبيات المضمنة أكثر التحاماً
وتداخلاً في بناء القصيدة وفي إعطائها الدلالة الرمزية
التاريخية وليس كما فعل ويفعل بعض شعراء القصيدة
الجديدة الذين يقومون بما يشبه عملية (اللصق واللزق)
حيث يظل أسلوب التضمين سطحياً وناشراً عن السياق
الفني والنفسي ، وقد رأينا في المثال الأول كيف نجح في
دمج البيت الشهير (ما للجمال مشيها وثيدا) ولتر الآن
كيف ومتى ولماذا ، جاء بأبيات المتنبي في آخر قصيدته
الغاضبة « من مذكرات المتنبي في مصر » وهي في رأيي من
معالم شعر ما بعد حزيران :

ما لم يتحقق له في سبع سنوات هي عمر كل محاولاته
 الشعرية السابقة . كان الطريق إلى الشعر قبل ذلك طويلاً
 وشاقاً أما الآن فقد صار أقصر مما كان يظن وإن كان ما
 يزال أشق مما كان يتوقع وذلك بسبب الاصرار على الجنوح
 إلى كتابة الشعر اللاذع ، وبسبب اختياره الطريق النبيل
 والصعب ، طريق اشعال الحرائق في وجدان الجماهير
 النائمة المهزومة ، تلك الجماهير التي كانوا وما يزالون
 يتحدثون عنها في القصائد وفي الخطابات وفي الصحف كما
 يتحدثون عن فتران التجارب وأرانب المعامل ولكن دون
 إحساس حقيقي بما تعاني ولعل أهم ميزة يتميز بها شاعر
 كبير كامل دنقل أنه لم يكن يخاف من شيء أو يخاف على
 شيء وقد ساعدته عفويته المنطلقة وطبيعته غير المنضبطة
 على الاحتفاظ بنقائه وتمرده . .

أطياف حديث :

بعد ثلاثة أعوام تقريباً من وقوع الهزيمة التي مزقت

تسألني جاريبي ان اكثري للبيت حراسا
 فقد طغى اللصوص في مصر .. بلا رادع
 فقلت : هذا سيفي القاطع
 ضعيه خلف الباب .. متراسا
 (ما حاجتي للسيف مشهورا
 ما دمت قد جاورت كافورا ؟)
 « عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

بما مضى ؟ أم لأرضي فيك تهويد ؟

(نامت نواظير مصر) عن عساكرها

وحاربت بدلا منها الأناشيد

ناديت يا نيل هل تجري المياه دما

لكي تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟

« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

لقد حقق أمل دنقل بقصائده الجريئة عن النكسة
 وآثارها شهرة واسعة ، وتحقق له من النجاح في عام واحد

المختلفة ، وانطلق صوت شاعر شاب يقول : إن أمل
يعاني من حالة حزن حقيقي لغياب عبدالناصر ، فقد كان
الرجل بالرغم من كل شيء الحارس الأمين للكلمة
والشعرية منها خاصة . واستقر الحديث بعد أن جال وتقل
في ميادين شتى حول عبدالناصر وكيف كان يتعامل مع
الأدباء بطريقة تختلف تماماً عن تعامله مع السياسيين
وينحسب ذلك التعامل على الأدباء الملتزمين أو
المتسيبين . وقد نال الشعراء بخاصة طوال عهده حظوة
كبيرة وشملهم برعاية خاصة ، فهو لا يسمح للأجهزة
بمصادرة أعمالهم الأدبية أو يمنعهم عن النشر والسفر ، ولم
يكن يسمح للصحافة في مصر أن تتناول بالاساءة اياً من
شعراء العرب الذين يختلفون مع النظام الناصري . حدث
ذلك مع سليمان العيسى ، ومع الجواهري ، ومع
البياتي ، ومع الفيتوري ، ونزار قباني ، وقد اشتهر لكل
هؤلاء قصيدة أو أكثر في مهاجمة شخص عبدالناصر
بالذات وقد ظلت القاهرة مفتوحة لهم بعد موافقهم ، كما

حياة العرب المعاصرين وشوهت معالم الأيام العربية ،
ورحل المناضل جمال عبدالناصر ، وكانت وفاته أو بالأصح
كان غيابه عن الساحة العربية في مثل تلك الظروف
الفاجعة هزيمة أخرى ، وبعد رحيل عبدالناصر بأربعين
يوماً التقى الشعراء العرب من مختلف الأقطار العربية
لتأبين الزعيم الراحل وفي الاستراحة الجانبية للقاعة
الكبرى للاتحاد الاشتراكي ، كان عدد من الشعراء والنقاد
يقطعون الوقت في انتظار لحظة افتتاح الاحتفال التأسيسي ،
وكنت قد أخذت لي مكاناً بينهم ، وكان أمل دنقل قد
اختار مكاناً قصبياً في الاستراحة وحيداً وبعيداً عن
الآخرين ، كان يبدو متوتراً ، يكثر من التدخين وكأنه
يلتهم السجائر التهاماً وبين حين وآخر ينظر إلى السقف
كأنما يحاول اختراقه بنظراته الحادة . قال أحد الحاضرين
لعله يعاني من حالة شعرية وربما كان متوحداً لأن قصيدة
الرثاء لم تكتمل بعد ، وقال آخر ربما أن أحد الحاضرين قد
حاول الاساءة إليه فابتعد مؤقتاً لئلا يدد شحنة الغضب ثم
يعود إلينا ليملاً المكان بملاحظاته وضحكاته (وقفشاته)

كانت قبل ذلك ، وقد ظهر في وقت متأخر من حياة
عبدالناصر بعض المشاعرين الذين حاولوا من منطلق
المنافسة غير المتكافئة الاساءة والتشويه المتعمد لأدوار
ومواقف بعض الشعراء خارج مصر مما اضطر عبدالناصر
نفسه إلى أن يتدخل ويضع حداً لهذه الظاهرة المعادية
للشعر والشعراء .

كان عبدالناصر - إذن - بحسه الثوري يدرك أن
الشاعر الحقيقي في مصر أو في بقية الأقطار العربية يشكل
طاقة حدس واكتشاف خلاقه فالشاعر ليس كزرقاء اليمامة
ترى الأشياء عن بعد ولكنه يرى الأشياء والأحداث بعين
بصيرته الشعرية ويتنبأ بها قبل وقوعها وقد نشر الشعراء في
مصر قصائد تنبأت بالنكسة ونهت إلى ما حدث قبل أن
يحدث ، ونشرت الأهرام في ما تذكر قصيدة للشاعر محمد
إبراهيم أبو سنة قبل النكسة بأسابيع وكان عنوان القصيدة
(نحن غزاة مدينتنا) وكأنما كانت تقرأ ما سوف يحدث في
صحائف مكتوبة من قبل .

يكون . . لا يدرون
أن كل واحد من الماشين
فيه . . صلاح الدين .

كان الليل داكناً مكتئباً حين رجعنا من حفل
التأبين ، وكانت الأضواء الصفراء في الميادين والطرقات قد
زادت اصفراراً وشحوباً . وكان زميلنا الذي يقود سيارته
والدموع تملأ عينيه يردد القسم الذي أطلقه أمل دنقل ،
وكان مثله يحلم بعودة سيناء ويسقوط النجمة السداسية من
فوق حائط المبكى إلى التراب . . .

« امل دنقل وانشودة البساطة في الشعر »

كان وصف (الشاعر الصعلوك) يتردد كثيراً في الأوساط الأدبية المصرية كلما ذكر امل دنقل وكثيراً ما قيل هذا الوصف بحضوره فيضحك ويعتبر هذا الوصف أو اللقب إذا جاز أنه كذلك ، يعتبره تحية كريمة لشاعر معاصر ينأى بنفسه عن الاقتداء بالشعراء المدجنين شعراء الحواضر والصالونات المعطرة والبسولات الأنيقة والسيارات الفارهة . كان واحداً من موكب جليل للشعراء الصعاليك المعاصرين الذين يرغبون عن عالم المغريات المختلف وأن يظلوا خفافاً نظافاً لا تأسره زينة الحياة الدنيا ولا تشدهم إلا بمقدار ما تمكنهم معطيائها الصغيرة من الكتابة والابداع .

ومن حسن حظ الشعر العربي في مصر وفي بقية الأقطار العربية أن الشعراء الحقيقيين لم يرتفع بهم شعرهم أو بالأصح لم ينخفض بهم إلى مستوى البذخ المادي والترف . الحياتي ، وقد أثبت الشعر على مر العصور بما في ذلك العصر الحديث أنه كفيلاً بأن لا يلحق أسراره العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الزاهدة والقلوب البريئة من التطلعات المريضة ، وقد ظلت تلك هي أبرز سمات الشعراء الحقيقيين جيلاً بعد جيل فلم تطوح بهم الرغبات الخاصة وتدفع بهم بعيداً إلى سرايب مضاء تصرفهم عن الشعر وتصرفهم عن الناس ، وإن كان قد حدث غير ذلك فهو استثناء عن القاعدة والاستثناء كما يقول المناطقة لا يعول عليه ولا يؤخذ به .

وقد كانت الصورة الشائعة عن امل دنقل هي صورة الشاعر الصعلوك ، لكنه كان صورة فريدة في صعلكته وفي محافظته على تقاليد الصعلكة الشعرية بثوبها المعاصر ، وقد سمعت من يحاول أن يقارن بينه وبين الشاعر المرحوم

عبد الحميد الديب الذي هزت أخبار بؤسه الثلاثينات والأربعينات وحفلت المقاهي والمستديبات في تلك الفترة بأحاديث بؤسه وبمطارحاته واهاجيه المتنوعة ، إلا أن الفارق بين الشاعرين كبير والفارق بين الصعلكتين أكبر ، صحيح أن البؤس الذي عانى منه الشاعران كلاهما متشابه ويكاد يكون واحداً إلا أن بؤس الأول ذاتي ونتاج عن نهم شديد إلى الحياة في حين أن بؤس الآخر عام ونتاج عن زهد في الحياة ، ولو أن الشاعر الأول وجد الأبواب الواسعة إلى النعيم كما وجدها الثاني لما تردد عن دخولها غير هيب ولا متحرج وهذا الفارق الأخير يكفي لمعرفة ما بين الشاعرين من تباين واختلاف وفضلاً عن هذا وذاك فإن امل دنقل شاعر يمثل مرحلة اجتماعية مختلفة كل الاختلاف عن المرحلة التي ظهر فيها عبد الحميد الديب والهموم التي حاول التعبير عنها تختلف كذلك عن هموم المراحل السابقة كلها .

لقد انفق امل دنقل ساعات كثيرة من حياته في

المقاهي - كما فعل عبد الحميد الديب تماماً لكن أحاديث المقاهي اختلفت والقصد من ارتياد المقهى اختلف أيضاً ، القضية التي تؤرق امل دنقل ما كانت لتخطر على ذهن عبد الحميد الديب ، وإذا كانت قد خطرت على ذهنه فبقدر كبير من الغموض ، وإذا كنت قد أشرت في ما سبق من حديث الذكريات فإن شريطاً طويلاً حافلاً بالذكريات التي تتواكب من قاع الأيام الراحلة ، ولعل أكثرها بروزاً ووضوحاً صورة امل دنقل في بيته أو بالأصح في احدى الشقق الكثيرة التي استأجرها الواحدة بعد الأخرى لتكون مقراً للنوم . كانت واحدة منها شقة أرضية من غرفتين في ميدان العجوزة استأجرها لفترة وعاش فيها مع زميله الصديق الشاعر حسن توفيق ، وقد زرتهما في هذه الشقة عشرات المرات رافقي في معظم تلك الزيارات الصديق الشاعر محمد الشرفي اثناء عمله في سفارتنا بالقاهرة ، وقد اعتدنا أن نذهب إلى الشقة قبيل الغروب ، وفي كل مرة كنا نرى امل دنقل اما نائماً أو مشغولاً باعداد طعام الغداء

مع زميله ، وكنا نقضي فترة انتظارهما للطعام في حديث
 عن الشعر والأدب وفي قراءة بعض القصائد وكان الغداء
 متواضعاً في كل يوم ولا يزيد عن البطاطس وأرغفة الخبز
 وبعض الأوراق الخضراء . وكثيراً ما امضينا الساعات
 الطويلة بعد أن يتناول الشعاران البائسان غداءهما أو
 عشاءهما في أحاديث أدبية ، وفي معظم الأحيان كنا نتوجه
 إلى دار الأدباء أو إلى منزل الصديق عماد الشرفي لقضاء
 سهرة أدبية لا تقتصر على أمل وزميله ، إذ غالباً ما ينضم
 إليها صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرها
 من الأدباء والشعراء الكبار الذين يضيئون الليالي
 بأحاديث الفكر والأدب وبروائع الشعر ، ولعل الفترة التي
 قضاهما أمل دنقل في شقة ميدان المعجزة أسوأ فترات
 حياته وأحفلها بالمتاعب وانتفاء الاستقرار وقد وصل الحال
 به وبزميله الشاعر حسن توفيق إلى أن يتبادلا ارتداء قميص
 واحد في الحفلات والسهرات ولعدة أشهر ، فإذا خرج
 أحدهما انتظر الآخر في المنزل حتى يعود زميله ، والغريب

بالرغم من ذلك الحال وربما بسببه فقد كانت تلك
 السنوات هي أخطر وأهم سنوات الانتاج الشعري وأهم
 سنوات المواجهة الحادة بالكلمة ، وفي هذه الفترة كتب أمل
 أهم قصائده وأجملها واكتسب شهرة فائقة قفزت به من بين
 شعراء الشباب إلى مستوى صلاح عبدالصبور وأحمد
 عبدالمعطي حجازي إن لم تكن قد تجاوزت به هذين
 الشعارين الكبيرين . وكانت قصيدته (أغنية الكعكة
 الحجرية) حدثاً في تأريخ الشعر السياسي في مصر وفي
 الشعر العربي بأجمعه ، وقد كتبها وسط مظاهرات الطلاب
 ومصادماتهم الشهيرة مع شرطة النظام في عام ١٩٧٢ م
 ومنها هذا المقطع الذي يخاطب الشاعر فيه مصر التي
 ارتعشت يومئذ من خلال مظاهرات الطلاب وتلمل

الشعب :

اذكريني !!

فقد لوثنتي العناوين

في الصحف الخائنة

لوثنتي لأنني منذ الهزيمة لا لون لي

غير لون الضياع

قبلها كنت اقرأ في صفحة الرمل

والرمل أصبح كالعملة الصعبة

الرمل أصبح أبسطه تحت اقدام جيش الدفاع !

فاذكريني، كما تذكرين المهرب والمطرب العاطفي ..

وكتاب العقيد ... وزينة رأس السنة

اذكريني إذا نسيتني شهود العيان

ومضبطة البرلمان

وقائمة التهم المعلنة

الوداع !

الوداع !

(من ديوان العهد الآتي) .

أنشودة البساطة :

كان أمل دنقل شاعر البساطة في زمن التعقيد

والغموض ، وأول ما يلفت الانتباه في قصائده البساطة

الحادة المصقولة التي تتحول إلى انشودة مفرطة التواضع

« وأنشودة البساطة » تعبير حديث أطلقه بين شباب الكتاب

والشعراء الكاتب الفنان يحيى حتى ، والبساطة عند ذلك
الشيخ الوقور - كما فهمها جيل أمل دنقل - لا تعني التمرد
على القواعد اللغوية او الخروج على الأسس الفنية للكتابة ،
ولا تعني الرقة والتبسيط ، إنما تعني تلقائية تناول أو عفوية
التعبير ، والابتعاد عن خشونة اللفظ إلى خشونة المعنى ،
وتحويل العمل الأدبي من شعرا لا يفهم محتواه سوى نفر
قليل من الكتاب .. إلى أنشودة جماعية والى لغة فن
ووجدان . ومن السهل جداً أن يتبع المتلقي فضلاً عن
الدارس تجربة أمل دنقل الشعرية وأن يتبين ملامح القراءة
في هذه التجربة التي تختلف عن تجربة الآخرين من زملائه
ومن الشعراء الذين سبقوه وقد ظلت تجربته متميزة منذ
البداية الصحيحة إلى أن توقفت مع الوفاة . وكانت
بساطته في تناول تجعله يرى أن الفرار من المباشرة لا يعني
الفرار من المحيط المباشر للواقع ، ولا تعني الفرار من
مواجهة العذاب الانساني والحراب والدمار والتشويه ،
وهذا الموقف جعله لا يقيم كبير وزن لما يسمى بالألفاظ

الشعرية ، أو بالمعاني المعقدة ، وهو في نثره القليل الذي تضمنته مقابلاته المنشورة في الصحف والمجلات لا يكف عن الهجوم السافر الحاد على كثير من شعراء القصيدة « المتجاوزة » وهو يرى أن معظم التجاوز يقف عند دائرة اللغة وحدها وعند الشكل وحده وهو يعتقد أن ذلك الصنع لا يزيد عن كونه نوعاً من الهروب عن مواجهة الواقع « ولأن فقدان الثقة عند الشاعر في تغيير هذا الواقع قد أدى به إلى أنواع من استجلاب وسائل فنية في ظل حضارة مختلفة ومحاولة فرضها على المجتمع الثقافي - العربي ، ومن هنا تحول الشعر الحديث إلى شعر مثقفين ، في حين أن وظيفته الأساسية هي في ارتباطه بالناس . وقد كان انتصار الشعر الجديد منذ البداية راجعاً إلى ارتباطه بالناس ، وتحياؤهم بالتالي معه ، وتحليلهم عن الشكل القديم . . وما يؤدي إليه هذا التجاوز الحديث عن المطلقات . . ومن هنا فإن هذا التجاوز للواقع يحتاج إلى تجاوز للطرائق الفنية التي يتم بها التعبير عن هذا الواقع ، واستحداث طرائق بديلة واستجلاب لمذاهب فنية ، أو

لجوء إلى الايهام بمحاولة تغيير الواقع أو الايهام بالثورة عن طريق ثورة شكلية فقط . . الشعر لا يلقي أسراره العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الواجدة وفي القلوب البريئة من التطلعات المريضة « أي تكون الثورة على مستوى الشكل فقط .
(ندوة مجلة فصول عن قضايا الشعر المعاصر المجلد الأول العدد الرابع يوليو ١٩٨١ م) .

ومهما يكن نصيب وجهة النظر هذه من الخطأ أو الصواب فإن وراءها موقف شاعر كبير يدرك أنه خارج من احزان أمة كبيرة أسيرة اختبوط خطير هائل من المعاناة والمشاكل ولا بد من أن تحس بالخطر الذي يتهدها ، ومهمة الشاعر بالذات أن يوصل هذا الاحساس إلى وعي الأمة وأن لا تتحول قصائده إلى مفردات قاموسية مجردة عن أي معنى أو إلى معان مطلقة تسعى إلى تخدير الوعي وامانة الحواس بدلاً من ايقاظها ، وفي مرحلة الهوان والانحطاط كالمرحلة التي نعيشها الآن لا بد أن يتخلى الشاعر عن

الوقوف في دائرة الأحلام الذاتية وقبل أن يحاول التحرر من القوالب الميتة أو التي يراها كذلك عليه أن يتجنب الوقوع في ما هو أخطر من هذه القوالب كالشكلية وتزييف الواقع ، تلك هي بساطة أمل دنقل التي جعلت من شعره صوتاً عميقاً وبسيطاً ، ومن المهم قبل ذلك وبعد ذلك أن نعلم أنه هو نفسه قد كان انشودة من البساطة والتواضع .

تمجيد التمرد في زمن الخنوع :

قضية الاساءة إلى الشعراء وتكفيرهم ومحاولة الانتقام من كبارهم تحت مختلف الادعاءات ، قضية شغلت الجانب الأكبر من تاريخ الشعر العربي ، ولم يسلم في الماضي من تهمة الزندقة والاحاد سوى صغار الشعراء ومن لا وزن لهم في الحياة والشعر على السواء . وقد شغلت هذه القضية عدداً من الباحثين ، وقد تلقيت منذ وقت قصير رسالة من باحث صديق تشغله القضية ويعد عنها رسالة دكتوراه ، يعكف عليها منذ خمسة أعوام . وقد لخص الهدف الذي يسعى إليه من دراسته بمحاولة التعرف

على الأسباب الكامنة وراء محنة الشعراء ولماذا الشعراء بالذات ، وقد رأى من خلال البحث الموضوعي القائل على النزاهة والصراحة - وهو يكتب الشعر - رأى أن كثير من التهم التي توجهت نحو الشعراء قد كانت موجهة في الوقت ذاته نحو الفلاسفة ورجال الدين وأصحاب المذاهب والمتكلمين ولكنها كانت مع الشعراء - عب العصور - أكثر حدة فلم تذيب التهم الكبيرة فيلسوفاً وأقادت إلى قتل رجل دين لكنها قتلت كبار الشعراء ، لماذا هذا هو السؤال الذي يبحث صديقي في رسالته للدكتوراه عن الاجابة عليه وهو يتلمسه عند عدد من الشعراء الاحياء وعند بعض الأدباء الذين تؤرقهم المحنة التي اتسحت إلى عصرنا من سلبيات العصور القديمة .

تذكرت محنة الشعراء هذه الأيام وأنا أعيش ذكريات محنة صديقي الشاعر أمل دنقل فقد عانى بالاضافة إلى محنة الفقر والتشرد وإلى محنة القمع والارهاب محنة التكفير نعم محنة التكفير ، وكانت قصيدته « كلمات سبارتاكوس»

الأخيرة « واحدة من القصائد التي وضعها « زعماء محاكم التفتيش » على مشرحة التكفير ، والقصيدية تدعو إلى التمرد ضد الطغيان وتمجد دور العبد سبارتاكوس الذي امتشق السيف في وجه العبودية وفي وجه روما العابثة بانسانية الانسان ومطلع القصيدة وهو الأكثر اثارة يقول :

المجد للشيطان . . معبود الرياح

من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)

من علم الانسان تمزيق العدم

من قال (لا) . . فلم يمِت ،

وظل روحاً أبدية الألم !

المجد هنا ، ليس للشيطان (ابليس) ولكنّه للشيطان (سبارتاكوس) ذلك العبد الشجاع الذي اشتاقت نفسه للحرية فقال (لا) في وجه (القيصر) وكانت النتيجة أن اسمه ظل على كل لسان وظلت روحه الأبدية الألم تزرع الشجاعة في نفوس العبيد وتدفع بهم إلى الصفوف الأولى من المواجهة ، وقد فهم صغار العقول في

محكم التفتيش المعاصرة أن الشاعر يمجّد ابليس وأنه بذلك قد كفر ، وأن دمه قد صار حلالاً . وقد حاول صغار العقول هؤلاء أن يصلوا بصرخاتهم الحاقدة إلى (أهل الخلل والعقد) إلا أن الصرخات ضاعت في أرض مصر الواسعة الأرجاء ، وظلت تتردد همساً في دهاليز الكراهية إلى أن رحل الشاعر عن عالم الحقد والطغيان وأخذ الله إلى جواره الرحيم الكريم .

لقد كتب الشاعر قصيدته في الاسكندرية وفي شارع الاسكندر الأكبر وهو يتذكر الجموع الفقيرة الغفيرة وهي تسير في الشوارع مغمية الظهر مقلّة الأعناق كقطيع الأغنام ؛ لا صوت يرتفع بكلمة (لا) الكلمة السائدة والشائعة هي (نعم) مصحوبة بالنسبة المعروفة (١٩٩٩) تذكر الشاعر كل ذلك فكتب قصيدته التي حاول فيها أن يعلم الجماهير العربية المضطهدة أن تقول (لا) حتى وإن كانت العاقبة لا تختلف كثيراً عن عاقبة ذلك الثائر المعلق في مشنقة على مدخل المدينة الظالمّة :

معلق أنا على مشانق الصباح

وجبهتي - بالموت - مخنية

لأنني لم أحنها .. حية

.....

يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقي

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر :

لا تحجلوا .. ولترفعوا عيونكم إلي

لأنكم معلقون جانبي .. على مشانق القيصر ..

فلترفعوا عيونكم إلي

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عيني

يتسم الفناء داخلي ..

لأنكم رفعتم رأسكم مرة .

وبعد أن طهرت آلام المرض العنيف روح الشاعر

الكبير وجسده الهزيل ، وعندما رحل إلى جوار ربه الغفور

الرحيم لا أشك في أنه قد غفر لخصومه من أنصار محاكم

فتيش ودعاة التكفير ولكن هل اعتذر له هؤلاء هل

اولوا أن يستغفروا لذنبهم الكبير ، ذنب اتهام المبدعين

نب قتل المواهب ؟ كان الشاعر متهاً منذ كان متنب

بيلة وصوت احزانها ، ورجال الدين يتهمونه بالتجديف

الحاد .. ورجال السلطة يتهمونه بالخروج على النظام

عظيم الاستقرار الموهوم ومن سوء حظ الشاعر الحقيقي

العصر الحديث أن التهم القديمة لم تتغير ولم تتطور

برات العصر وتطوراته .. في مواجهة جدار اليأس

أحباط

آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق

ربما نفق كل العمر .. كي نثقب ثغره

ليمر النور للأجيال مره !

.....

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق .. !

(سيزيف) ذلك البطل الأسطوري المحكوم عليه بحمل الصخرة إلى القمة لكي تعود إلى القاع ثم يعود هو إلى حملها من جديد إلى القمة في رحلة عذاب لا تنتهي بين القاع والقمة (سيزيف) هذا أي معنى لحياته التافهة المكرورة إن خلت من هذا العذاب المظني الرتيب . وأي عذاب للانسان بدون هذا الجدار الذي يحاول بجهده الانساني أن يفتح عليه ثغرة للنور ، نور المعرفة والتغيير إلى الأفضل والأجمل والأنقى . . وإذا كان الشاعر الكبير امل دنقل قد ظل يحفر في الجدار ورحل قبل أن يتدفق شلاله للنور المنتظر فإن كلماته ستظل تواصل الحفر والطرق على وجه الجدار الواقف في وجه الشروق إلى أن ينهدم الجدار ويتدفق انهاراً من الاشواء ، فمن غير المعقول أن تظل الأرض العربية تنزف دماً . وان يظل ابناؤها هكذا حيارى يفترسهم الارهاب وتتقاذفهم الهموم إلى نهاية العالم .

وضع امل دنقل هذا المقطع الصغير افتتاحية لديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) ولاختيار هذا المقطع وللحرص على أن يتصدر فاتحة الديوان (البداية) لذلك كله مغزى خطير يلخص بمرارة خيبة الأمل والشعور بالعجز ازاء مختلف اشكال الاحباط في الواقع العربي المعاصر .

وصورة هذا الجدار الذي ينهض في وجه الشروق الخاص وفي وجه الشروق العام ليسد النور ويميع كل ومضة امل . . صورة هذا الجدار تعكس منذ البداية الشعور البائس المحبط ، ولكنها في الوقت ذاته تكشف عن استعداد شجاع وجريء لمواجهة هذا الجدار ومحاولة التغلب عليه ، وكأني بالشاعر في بداية حياته يشعر بوعورة الطريق واتساع المسافة لكن تضاؤل الشباب جعله وهو يقترب من الجدار يشعر بالزهو لأن الجدار يعطي لحياته قيمة ويعطيها معنى ، فأى معنى لحياة لا معاناة فيها ولا مكابدة ، حتى

أخيراً أي شعور حزين يعب
بالكلمات شاعراً عظيماً عاش
وللوطن . وأي احساس فاجع ؛
نكتب بالكلمات كل يوم سوى رثا
ابناء هذا الوطن ولأروع ما
ونقاء

الدكتور عبا

مقتل القمر

الاهداء

إلى الاسكندرية
سنوات الصبا !

أحسُّ حِيالَ عَيْنِكَ
بشئٍ دَاخِلِي يَبْكِي
أحسُّ خَطِيئَةَ المَاضِي تَعَرَّتْ بَيْنَ كَفْيِكَ
وَعَنقُوداً مِنَ التَّفَاحِ فِي عَيْنَيْنِ خَضِرَاوِيَيْنِ
أَأَنسَى رِحْلَةَ الأَثَامِ فِي عَيْنَيْنِ فِرْدُوسِيَيْنِ ؟
وَحَتَّى أَيْنَ ؟
تَعَذَّبْنِي خَطِيئَاتِي .. بَعِيداً عَنِ مَوَاعِيدِكَ
وَتَحْرَقَنِي اشْتِهَاءَاتِي قَرِيباً مِنَ عُنَاقِيدِكَ !
وَفِي صَدْرِي
صَبِي أَحْمَرِ الأَطْفَارِ وَالمَاضِي
يَخْطُطُ فِي تَرَابِ الرُّوحِ ،
فِي أَنْقَاضِ أَنْقَاضِي !
وَأَنْظُرُ نَحْوَ عَيْنِكَ

فترعشني طهارة حب
وتفرقني اختلاجة هذب
والمح — من خلال الموج — وجه الرب
يؤنيني

على نيران أنفاسي يقبلني
وأطرق ...

والصراع المرُّ في جوفى يعذبني !!

... ..

أحرق في خطوط الصيف في شفتيك :

يموى داخلى الحرمان

(هيب آدمى الشوق ، مصباحان يرتعشان)

وأهرب نحو عينيك :

يطالعني الندى والله والغفران !

وأسقط بين نهديك

لتحترق الروءى

وأغرق فيهما بالنار والشك

فمشوى رغبتى شيا

وأغمض عنك عينيا

وأسند رأسى المفلوح في صدرك
فقد تترمد الأفكار في جهرك
وأحرق جنة المأوى

... ..

فيا ذات العيون الخضر

دعى عينيك مغمضتين فوق السر

.. لأصبح حر !!

طفلتها

(.. مرت خمس سنوات على الوداع وفجأة .. رأى طفلتها !)

لأنفري من يدي مختبئه
.. خبيت النار بجوف المدفأة !
أنا ..

(لوتدرين)

من كنت له طفله

لولا زمان فجأه

كان في كفي ما ضيعته

في وعود الكلمات المرجأه

كان في جنبي

لم أدر به !

.. أو يدري البحر قدر اللؤلؤة ؟

إنا عمرك عمر ضائع من شباني

في الدروب المخططة

كنا قرت بعام

حسرت مهجتي عاماً

.. وأبقت صدأه

ثم لم تحمل من الماضي

سوى ذكريات في الأسي مهترته

تعزى بالدجي

إلى الدجي للذي ضل مناه ..

تلك !!

• • •

العيون الواسعات الهادئة

والشفاه الحلوة الممتلئة :

قصة طفليّه

أذكرها

وهي عن سبعة عشر منبئة

إنني أعرفها

فاقتربني

فكلانا في طريق أخطأه

سأقتي حمقى

وفي حلقي مرارة شوق

وأمان صدته

فأبسمي ياطفلتي

(منذ مضت ... وابتسامات الضحى منطفئة)

ثرثرى

(صوتك موسيقى حكمت صوتها ذا النبرات المدفئة)

— « إحلّ لي أحجية »

— لم يبق في جمعيتي

غير الحكايا السيئة

فاسمعيها يا ابنتي مسرعة

عبرت فيها الليالي .. مبطئة

.....

« كان يا ما كان »

الله كان قتي

لم يكن يملك إلا .. مبدأه

وحدة ذات ثغر يشتهي قبلة الشمس

أبوي ظمأه

حضر الحب بها ؛ فاستسلمت

وسرى الحب به ؛ فاستمرأه

بما قد سعدت مركبه

الضحى

في قصة مبتدئة

وهو في شرفته مرتقب

وهي في شباكها .. متكئة

تعمّ منقسم

لا ينتهي حلم

إلا وحلم بدأه

صعدا

سلمة ..

سلمة ..

لم يكن يملك إلا مبدأه
ليس إلا ..
كلمات مطفأة

• • •

أترى تدرين من كان الفنى ؟
فهو يدري الآن
يدري خطأه !
والتي بيعت وفي معصمها الوشم
فاعتاد الفؤاد الطأطأة !?
ومن النخاس ؟
هل تدرينه ؟
وهو ملاح تناسى مرفأه
اننى أكرهه
يكبره ضوء مصباح نبيل أطفأه
غير أن الحقد ..
(يا طفلة)

••

في قصور الأمنيات المنشأة
لم تكن تملك إلا طهرها
لم يكن يملك إلا مبدأه

• • •

ذات يوم
كان أن شاهدها
من له أن يشتري نصف امرأة
حينما أوما لها مبتسماً
فأشاحت عه
كالمستهزئة
اشتراها في الدجي
صاغرة
زفت السبعة عشر .. للثة
لم يكن شاعرها فارسها
لم يكن يملك إلا ..
التهبة

••

.. ماكان يا حبيبي
حلم ؛ وقد عبر !

وينزل المطر
ويرحل المطر
وينزل المطر
ويرحل المطر
والقلب يا حبيبي
مازال ينتظر

وأنت يا حبيبي
طير على سفر

ويرحل المطر
ويدبل الشجر
ويغمر الغبار النقوش والصور
... ..

وتهبط الأحزان
فتمحي الألوان
والقلب
والخطوط العرجاء
والأسمان
وبنخر السوس القديم في العيدان
وترحل الطيور الزرق
بلا عنوان
تسأل عن هوانا
تسأل عما كان

قلبي .. والعيون الخضراء

- ١ -

صبياً كان

شددت على يديه القوس

أعلمه الرماية

(كى يفوق بقية الأقران)

« فلما اشتدَّ ساعده .. »

.....

ثلاث سنين

أبارز قلبي المفتون

يجمع بيننا ليل ، ويفصلنا نهار قتال

تظل على — خلف لثامه — عينا خضراوان

(كأوردة تلون بطن ركة عانس عجفاء)

وقبلا .. كانتا في وجه قديسة !

• • •

ثلاث سنين

ينازلني ، أنازله

لثا ساخن ، وغبار
يرف على الفم المزموم ،
ثم يرين فوق العشب والأسوار
وكان الفخ قرب الباب
سقطت ملوث الرتتين والأثواب
أشاحت عنى العينان
وكنت تراب
وكان يدير لى كتفيه فى استهزاء
.. وتعرف أنت
ماذا يفعل المغلوب مثلى
حين يوليه العدو الظهر ؟
وفى كفى بقايا سهم
.....

• • •

وطفلاً كنت ، كالأطفال

ومركبة من الكلمات تحملنى لعرش الشمس

وقلدى الهوى سيفه :

« إلى ذات العيون الخضراء »

وكوكبة من الربات مصطفة

« إلى ذات العيون الخضراء »

وقريتنا — وراء العين — توراة من الصمت

وثرثرة من الغدران

وصوت الطبل

يدق لينزع القمر القديم نقابه المعتل

وطفل شاحب ينهض

تزغرد نسوةً لختانه المدسوس في جلبابه الأبيض

وفوق الجسر

غلام لاهث يعدو

يلمسك مهرة فرت وفي سيقانها يتعلق القيد

... ..

ومركبتى تشد الأفق مخروطية الدرب

« إلى ذات العيون الخضر »

تلال السحب تهرب من ورائى كومة .. كومة

وأنسام تضم عباءتى بأنامل الرحمة

ومن ضمه

إلى ضمه

تنسمننا قلاع الحب والحكمة

ولكننا على الأبواب

أطل نتوء

(كأنف قد تورم فوق وجه العازف السكير)

على العجلات مد لسانه الموبوء

تهاوت فيه مركبتى

فعد ياصاحب الكلمات

كأسياخ الحديد توهجت في النار

تمر على عيونك أحرف الكلمات

« هوانا مات »

تھاوينا

بلغنا قمة القمة

لنهيظ في انحدار الجانب الآخر

ومن عثره الى عثره

تلقانا تراب الأرض في راحاته البرة

ودارت قهوة الموتى

رأيت يديك هذا اليوم

معطرتين ، ناعمتين

ولكننى رأيت على أظافرك الدم الملمم

وفي المجرى الذى ينساب في النهدين

مددت يدك قبيل النوم

عمرت على حطام الخنجر المسموم
والقفاز !!

يا وجهها

تدعوني أن نلتقى .. سهوا

كأنك أتقديك

يا وجهها الحلوا

كل التي سميت به : شدوا

من قبل ما أجدك ؛

أصحى على شفة الصبا .. لغوا

كأن لي كما أهوى

أظن على الدفء والجلوى

ويحيى تبت سمانك الشجوا

لئن مرتعدك

يا حيناً أعدك

الصفيف فيك يعانق الصحوا
عينك ترخيان في أرجوحة
والنفر مرتعش بلا مأوى
وعذابه : سلوى
إن جئت أنفض عنده الشكوى

في الليل افتقدك
فتضيء لي قسماتك النشوى
تأقني خجول البوح مزهوا
وعلى ذراع الشوق استندك
وأحس في وجهي لظى الأنفاس
حين يلفني رغدك !
وأنام !

تحملني رؤاك لنجمة قصوى
نترفق الخطوا
تحكي ، فأرشف همسك الرخوا
ويهزني صحوى .. فافتقدك
لكن بلا جدوى
بلا جدوى !

ورحبتها الحلوا
أظروا فيني مجذب السلوى
حازلت لا أقوى
أنا أقتل الخطوا
أنا أقتل سنك

ورحبتها الحلوا
حازلت أفتقدك
حازلت أفتقدك

مقتل القمر !

.. وتناقلوا النبأ الأليم على بريد الشمس
في كل المدينة :

« قتل القمر » !

شهوده مصلوباً تدلى رأسه فوق الشجر !
نهب للصوص قلادة الماس الثمينة
من صدره !

تركوه في الأعواد ،

كالأسطورة السوداء في عيني ضريبر
ويقول جارى :

— « كان قديساً ، لماذا يقتلونه ؟ »

وتقول جارثا الصبية :

— « كان يمجبه غنائى في المساء

وكان يهدىنى قوارير العطور

فبأى ذنب يقتلونه ؟

هل شاهدوه عند نافذتى — قبيل الفجر — يصفى للغناء ؟

سكنت السمعات من كل العيون

كند الأنام — أطفال القمر

مات .. مات !

سأله عن الأيدي التي غدرت به

لكنه لا يستمع لى ،

كأن مات !

سحبت حقيبته على عينيه ..

حين لا يرى من فارقه !

يخرجت من باب المدينة

يا أبناء قريتنا أبوكم مات

قد قتلته أبناء المدينة

خزفوا عليه دموع إخوة يوسف

وتحرقوا

تركوه فوق شوارع الأسفلت والدم والضعيفة
يا اخوتي : هذا أبوكم مات !

— ماذا ؟ لا .. أبونا لا يموت

بالأمس طول الليل كان هنا
يقص لنا حكايته الحزينة !

— يا اخوتي بيدي هاتين احتضنته

أسبلت جفنيه على عينيه حتى تدفونه !

قالوا : كفاك ، اصمت

فانك لست تدري ما تقول

قلت : الحقيقة ما أقول

قالوا : انتظر

لم تبق إلا بضع ساعات ..

ويأتي !

• • •

حط المساء

وأطل من فوق القمر

متألق البسمات ، ماسى النظر

— يا اخوتي هذا أبوكم ما يزال هنا

فمن هو ذلك الملقى على أرض المدينة ؟

قالوا : غريب

ظنه الناس القمر

قتلوه ، ثم بكوا عليه

ورددوا « قتل القمر »

لكن أبونا لا يموت

أبدأ أبونا لا يموت !

شيء يحترق

شيء في قلبي يحترق
إذ يمضي الوقت .. فنفترق
ونمد الأيدي
يجمعها حب
وتفرقها .. طروق

.. ولأنت جوارى ضاحجة
وأنا بجوارك ، مرتفق
وحديثك يفضله مرح
والوجه .. حديث متسق
ترخين جفونا
أغرقها سحر
فطفا فيها الفرق
وشبابك حان جبلي
أرز ، وغدير ينبثق

وسبيد ذهبي وحدي
مصططح منه ومغتيق
وتفوص بقلبي نشوته
تدفعني فيك .. فتلتصق
وأمد يدين معربدتين
فتوبك في كفي ..

مزق
وذراعك يلتف
ونهر من أقصى الغابة يندفق
وأضمك
شفقة في شفقة
فيغيب الكون ، وينطبق
.....

وتموت النار
فترقبها
بجفون حار بها الأرق
خجلى !
وشفاهك ذائبة
وشارك نشوى تندلق

ونعود نثرثر

كبحيرات هادئة

غطاها الورق

وعبر الوقت فلا ندري

ويقيم محافله الشفق

وتدق الساعة معلنة

فيهب بنا صحو قلق

ويحين وداع

وقتي

وأراه كحلم ينسحق

يرتد الصمت لموضعه

ويعود إلى الأذن الخلق

ومعد الأيدي

راغمة

نتشاكى العتب

وتنزلق!

وأحس بشيء في صدري

شيء .. كالفرحه

يحترق!

قالت

قالت : تعال إليّ

واصعد ذلك الدرج الصغير

قلت : القيود تشدني

والخطو مضني لا يسير

مهما بلغت فلست أبلغ ما بلغت

وقد أخور

درج صغير

غير أن طريقه .. بلا مصير

فدعي مكاني للأسى

وامضى الى غدك الأمير

فالعمر أقصر من طموحي

والأسى قتل الغدا

• • •

قالت : سأنزل

قلت : يا معبودي لا تنزلي لي

قالت : سأنزل

قلت : خطوطك ممتة في المستحيل

ما نحن ملتقيان

ورغم توحد الأمل النبيل

... ..

نزلت تدق على السكون

رنين ناقوس ثقيل

وعيوننا متشابكات في أسى الماضي الطويل

تخطو إليّ

وخطوها ما ضلّ يوماً عن سبيل

وبكى العناق

ولم أجد إلا الصدى

إلا الصدى

ماريا

ماريا ؛ يا ساقية المشرب

الليلة عيد

لكننا نخفي جمرات التنهيد !

صبي النشوة نخباً .. نخباً

صبي حبا

قد جئنا الليلة من أجلك

ليربح العمر المتشرد خلف شعاع الغيب المهلك

في ظل الأهداب الإغريقية !

ما أحلى استرخاءة حزن في ظلك

في ظل الهدب الأسود

.....

— ماذا يا ماريا ؟

— الناس هنا كالناس هنالك في اليونان

بسطاء العيشة ، محبوبون

— لا يا ماريا

ناس هنا - في المدن الكبرى - ساعات

! تتخلف

! تتوقف

! تتصرف

آلات ، آلات ، آلات

كفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان !

.....

ماذا يا سيّدة البهجة ؟

العام القادم في بيتي زوجة !؟

قد ضاعت يا ماريًا من كنت أود

ماتت في حضن آخر

لكن ما فائدة الذكرى

ما جدوى الحزن المقعد

نحن جميعاً نحجب ضوء الشمس ونهرب

كفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان

.....

قولي يا ماريًا

أوما كنت زماناً طفلة

يلقى الشعر على جبهتها ظله

من أول رجل دخل الجبه واستلقى فوق الشيطان

علقت في جبهته من ليلك خصلة

فضّ الثغر بأول قبلة

أوما غنيت لأول حبّ

غنينا يا ماريًا

أغنية من سنوات الحب العذب

.....

.....

.....

ما أحلى النغمة

لنكاد نترجم معناها كلمة .. كلمة

غنينا ثانية .. غنر

(أوف .

لا تتجهم

ما دمت جوارى ، فلتتبسم

بين يديك وجودى كنز الحب

عيناي الليل .. ووجهى النور

شفتاي نبيذ معصور
صدرى جنتك الموعودة
وذراعاى وساد الرب
فتبسم للحب ، تبسم
لا تنجهم
لا تنجهم (

.....
ما دُمت جوارك يا ماريًا لن أتجهم
حتى لو كنت الآن شياياً كان
فأنا مثلك كنت صغيراً
أرفع عينى نحو الشمس كثيراً
لكنى منذ هجرت بلادى
والأشواق
تمضغنى ، وعرفتُ الأطراق
مثلك منذ هجرت بلادك
وأنا أشتاق
أن أرجع يوماً ما للشمس
أن يورق فى جدنى فيضان الأمس
.....

قولى يا ماريًا
العام القادم يبصر كلُّ منا أهله
كى أرجع طفلاً .. وتعودى طفلة
لكنا الليلة محرومون
صبي أشجانك نجياً .. نجياً
صبي حياً
فأنا ورفاقى
قد جئنا الليلة من أجلك !

استريحي

استريحي

ليس للدور بقية

انتهت كل فصول المسرحية

فامسحى زيف. المساحيق

ولا ترتدى تلك المسوح المريمية

واكشفي البسمة عما تحتها

من حنين .. واشتهاء .. وخطيه

كنت يوماً فتنه قدستها

كنت يوماً

ظماً للقلب .. وريه

• • •

لم تكوني أبداً لي

إنما كنت للحب الذي من سنتين

قطف التفاحتين الحلوتين

ثم ألقى

يبقايا القشرتين

وبكى قلبك حزناً

فقدنا دمعاً حمراء

بين الرئتين

وأنا ؛ قلبي مندبل هوى

جففت عيناك فيه دمعتين

ومحت فيه طلاء الشفتين

ولوته ..

في ارتعاشات اليدين

كان ماضيك جداراً فاصلاً بيننا

كان ضلالاً شبحية

فاستريحي

ليس للدور بقية

أيها نحن جلسنا

ارتسمت صورة الآخر في الركن القصي

كنت تحشين من اللمسة

أن تمحى لمسته في راحتي

وأحاديثك في الهمس معي

إنما كانت إليه ..

العار الذي نثقيه

هذا الذي يجادلون فيه
قولي لهم من أمه ، ومن أبوه
أنا وأنت ..
حين أنجينا ألقيناه فوق قمم الجبال كي يموت !
لكنه ما مات
عاد إلينا عنفوان ذكريات
لم نجترى أن نرفع العيون نحوه
لم نجترى أن نرفع العيون
نحو عارنا الميت
• • •
ها طفلنا أمامنا غريب
ترشقه العيون والظنون بازدرائها
ونحن لا نجيب
(وربما لو لم يكن من دمنا
كنا مددنا نحوه اليدا

لا إلى

فاستريحي الآن

لم يبق سوى حيرة السير على المفترق
كيف أقصيك عن النار
وفي صدرك الرغبة أن تحترق ؟
كيف أدنك من النهر
وفي قلبك الخوف وذكرى الغرق ؟
أنا أحبيتك حقاً
إنما لست أدري
أنا .. أم أنت الضحية ؟
فاستريحي ، ليس للدور بقية

رسالة من الشمال

بعمري — من الشوك — مخشوشين
بعرق من الصيف لم يسكن
بتجويف حب ، به كاهن
له زمن .. صامت الأرغن :
أعيش هنا
لا هنا ، إنتي
جهلتُ بكينونتي مسكني
غدى : عالم ضل عنى الطريق
مسالكه للسدى تنحني
علاماته .. كاثيال الضوء
على دنس منتن .. منتن
تفتح السواسن سم العطور
فأكفر بالعطر والسوسن
وأفصد وهمي .. لأمتصه
قيمتصني الوهم ، يمتصني ..

لكنه .. ما زال يقطع الدروب
يقطع الدروب
وفي عيوننا الأسمى المريب

• • •

« أوديب » عاد باحثاً عن اللذين ألقياه للردى
نحن اللذان ألقياه للردى
وهذه المرة لن نضيعه
ولن نتركه يتوه
ناديه

قولي انك أمه التي ضنت عليه بالدفء
وبالبسمة والحليب

قولي له أنى أبوه
(هل يقتلني ؟) أنا أبوه
ما عاد عاراً تنقيه
العار : أن نموت دون ضمة
من طفلنا الحبيب
من طفلنا « أوديب »

ملاكى : أنا فى شمال الشمال
أعيش .. ككأسى بلا مدمن
ترد الذباب انتظاراً ، وتحسو
جهود موائدها الخون
غريب الخطايا ، بقايا الحكايا
من الليل لليل تستلنى
أرش ابتسامتى على كل وجه
توسد فى دهنه اللين
ويجرحنى الضوء فى كل ليل
مرير الخطى ، صامت ، محزن
سريت به — كالشعاع الضئيل —
الى حيث لا عابر ينشئ
هى اسكندرية بعد المساء
شثائية القلب والمخضن
شوارعها خاويات المدى
سوى : حارسي نى لا يعتنى
ودورة كليين كى ينسلا
ورائحة الشبق المزمّن
ملاكى .. ملاكى .. تسال عنك

اغتراب التفرد فى مسكنى
سفحت لك اللحن عبر المدى
طريقاً الى المبتدأ ردى
وعيناك : فيروزتان تضيقان
فى خاتم الله .. كالأعين
تمدان لى فى المغيب الجناح
مدى ، خلف خلف المدى الممعن
سألتهما فى صلاة الغروب
عن الحب ، والموت ، والممكن
ولم تذكرالى سوى خلجة
من الهدب قلت لها : هيمنى !
هواى له الشمس تنبده
الى اليوم بالموت لم تؤمن
وكانت لنا خلوة ، إن غدا
لها الخوف أصبح فى مأمن
مقاعد ما تزال النجوم
تحجج الى صمتها المؤمن
حكينا لها ، وقرأنا بها
بصوت على الغيب مستأذن

دنوا ، دنوا ففى جعبتى
حكايات حب سنى ، سنى
صقلت به الشمس حتى غدت
مرايا مساء لتزيتى
وصفت لك النجم عقداً من
الماس شع على صدرك المفتى
أردتك قبل وجود الوجود
وجوداً لتخليده لم أن
تغربت عنك ، لحيث الحياة
مناجم حلم بلا معدن
ودورة كلبين كى ينسلا
ورائحة الشبق المزمين

ملاكى : ترى ما يزال الجنوب
مشارق للصيف لم تعلن
ضممت لصدري تصاويرنا
تساوير تبكى على المفتى
سأتى إليك أجر المسير
خطى فى تصلبها المذعن

سأتى إليك كسيف تحطم
فى كف فارسه المثخن
سأتى إليك نجيلاً .. نجيلاً
كخيط من الحزن لم يحزن

أنا قادم من شمال الشمال
لعينين - فى موطنى - موطنى !

أوتوجراف

لن أكتب حرفاً فيه
فالكلمة — إن تكتب — لا تكتب

من أجل الترفيه

(والأوتوجراف الصامت تهذل الكلمات عليه ،
تحبيه

وتطرز كل مثانيه !

ماضيك

— وماضى الأوتوجراف —

بقايا شوق مشبوه

بصمات الذكرى فيك ، وفيه

وخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه

لكننى أطرذ كل ذباب الماضى عن بائى

فدعيه

غيرى قد يصبح سطرأ من ورق

يقبله من يجهله أو من يدره

غيرى قد ينبش تابوتاً براق اللون

تمغن خافيه

لكننى أطرذ كل ذباب الذكرى

عن غدى المشدوه

عن ثوبى ، وطعامى ، وفراشى

عن خطوة تبهى

.....

يا أصغر من كلماتى

لن أكتب فيه

فخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه !

شبيبتها

انتظري !

ما اسمك ؟

يا ذات العيون الخضِر والشعر الثرى

أشبهت في تصورى

(بوجهك المدور)

حبيبة أذكرها .. أكثر من تذكرى

يا صورة لها على المرأة ، لم تنكسرى

حبيبتى — مثلك —

لم تشبه جميع البشر

عيونها حدائق حافلة بالصور

أبصرتها اليوم بعينيك

اللتين صبتا في عمرى ..

طفولة .. منذ اتران الخطو لم تنحسر

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصورى

كم أشهر وأشهر

مرت ولسنا نلتقى

مرت .. ولم نغضوضر

الماس فى مناجمى

مشوه التبلور

والذكريات فى دمى

عاصفة التحرر

كرقصة نارية من فتيات العجبر

.....

لكننى حين رأيت الآن صورة لها

فى مهجرى

أيقنت أن ماسنا ما زال

حتىّ الجواهر

وأنا سنلتقى ..

رغم رياح القدر

وأنى فى فمك المستضحك المستبشر

أغنية للقمر

أغنية ترقص فيها القرويات

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصوري

كم أشهر وأشهر

مغترباً عن العيون الأخضر والشعر الثرى

العينان الخضراوان

العينان الخضراوان

مروحتان

في أروقة الصيف الحران

أغنيتان مسافرتان

أبحرتا من نايات الرعيان

بعبير حنان

بعزاء من آهة النور إلى مدن الأحزان

سنتان

وأنا أبني زورق حب

يمتد عليه من الشوق شرعاغان

كفى أبحر في العينين الصافيتين

إلى جزر المرجان

ما أحلى أن يضطرب الموج فينسدل الجفنان

وأنا أبحث عن مجداف

عن إيمان !

• • •

Petit Terianor

(الملهى الصغير)

لم يعد يذكرنا حتى المكان !
كيف هنا عنده ؟
والأمس هان ؟
قد دخلنا ..
لم تُشر مائدةً نحونا !
لم يستصفنا المقعدان !!
الجلسان غريان
فما بيننا إلا . ظلال الشمعدان !
أنظري ؛
قهوتنا باردة
ويدانا — حولها — ترتعشان
وجهك الغارق في أصباغه
وجهي الغارق في سحب الدخان
رُسمًا

في صمت « الكاتدرائيات » الوسان
صور « للعدراء » المسبلة الأجفان
يا من أرضعت الحب صلاة الغفران
وتغطى في عينيك المسبلتين
شبابُ الحرمان
رُدَى جفنيك
لأبصر في عينيك الألوان
أهما خضراوان
كعيون حبيبي ؟
كعيون يبحر فيها البحر بلا شطآن
يسأل عن حبّ
عن ذكري
عن نسيان !
قلبي حران ، حران
والعينان الخضراوان
مروحتان !

(ما ابتسما !)
في لوحة خانت الرسام فيها ..
لمستان !!

تُسدل الأستار في المسرح
فلنضيء الأنوار
إن الوقت حان
أمن الحكمة أن نبقي ؟
سدى !!

قد خسرنا فرسينا في الرهان !
قد خسرنا فرسينا في الرهان
مالنا شوط مع الأحلام
ثان !!

نحن كنا ها هنا يوماً
وكان

وهج النور علينا مهرجان
يوم أن كنا صغاراً
نمتطى صهوة الموج
إلى شط الأمان

كنتُ طفلاً لا يعنى الهوى

وأحاسيسك مرخاة العنان
قطلة مغمضة العينين

في دمك البكر لبيب الفوران
عامنا السادس عشر :

رغبة في الشرايين
وأعواد لدان

هاهنا كل صباح نلتقى
بيننا مائدة

تندى .. حنان

قدمانا تحتها تعتنقان

ويدانا فوقها تشتبكان

إن تكلمت :

ترئمت بما همسته الشفتان الحلوتان

وإذا ما قلتُ :

أصفت طلعة حلوة

وابتسمت غمازتان !

أكتب الشعر لنجواك

(وإن كان شعراً بيغائى البيان)

كان جمهورى عيناك !

إذا قلته : صفقتا تبسما

ولكن ينصحنا الأهل

فلا نصحهم عزّ

ولا الموعد هان

لم نكن نخشى إذا ما نلتقى

غير ألا نلتقى في كل آن

ليس ينهائي تأنيب أئى

ليس تنهك عصا من خيزران !!

الجنون البكر ولى

وانتهت سنة من عمرنا

أو .. سنتان

وكما يهدأ عنف النهر

إن قارب البحر

وقاراً .. واتزان

هدأ العاصف في أعماقنا

حين أفرغنا من الخمر الدنان

قد بلغنا قمة القمة

هل بعدها إلا .. هبوط العنفوان

اخرقنا ..

(دون أن نغضب)

لا يفضب الحكمة صوت الهديان

ما الذى جاء بنا الآن ؟

سوى لحظة الجبن من العمر الجبان

لحظة الطفل الذى فى دمننا

لم يزل يجبو ..

ويكبو ..

فيعان !

لحظة فيها تهايد الصبا

والصبا عهد إذا عاهد : خان

أمن الحكمة أن نبقى ؟

سدى

قد خسرنا فرسينا فى الرهان

• • •

قبلنا يا أخت فى هذا المكان

كم تناجى ، وتناغى عاشقان

ذهبا

ثم ذهبنا

وغداً ..

يتساقى الحب فيه آخران !

فلندعه لهما

ساقية ..

دار فيها الماء

مادار الزمان !!

البركة و بين يدي زرقاء و السحابة

دياجة

آه .. ما أفسى الجدار

عندما ينفض في وجه الشروق .

ربما نفق كل العمر .. كي نثق ثغره

ببصر النور للأجيال .. مره !

... ..

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!

إلى « مازن جودت أبو غزالة »

. عرفته في سنوات السأول .

. رحل مع « العاصفة » .

للوهلة الأولى

قرأت في عينيه يومه الذى يموت فيه .

رأيت في صحراء « النقب » مقتولا ..

منكفئاً .. يغرر فيها شفتيه ،

وهى لا تردُّ قبلةً .. لفيه !

نتوه في القاهرة العجوز ، نسى الزمنا

نفلت من ضجيج سياراتها ، وأغنيات المتسولين

تُظَلِّنا محطةً المترو مع المساء .. متعبين .

وكان يبكى وطننا .. وكنت أبكى وطننا

نبيكى إلى أن تنضب الأشعار

نسألها : أين خطوط النار ؟

وهل تُرى الرصاصة الأولى هناك .. أم هنا ؟

• • •

والآن .. ها أنا

أظل طول الليل لا ينوق جفنى وسنا

أنظر في ساعتى الملقاة في جوارى

حتى تحمىء . عابراً من نطق التفتيش والحصار

تتسع الدائرة الحمراء في قميصك الأبيض ، تبكى شج

من بعد أن تكسرت في « النقب » رايتك !

تسألنى : « أين رصاصتك ؟ »

« أين رصاصتك »

ثم تغيب : طائراً .. جريماً

تضرب أفقك الفسيحاً

تسقط في ظلال الضفة الأخرى ، وترجو كفنا !

وحين يأتي الصبحُ — فى المذيع — بالبشائر

أزيج عن نافذتى الستائر ،

فلا أراك .. !

أسقط فى عارى . بلا حراك

اسأل إن كانت هنا الرصاصة الأولى ؟

أم أنها هناك ؟ ؟

كلمات سبارتكوس الأخيرة

(مزج أول) :

المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال « لا » في وجه من قالوا « نَعَمْ »

من عَلَّمَ الانسانَ تمزيقَ العدم

من قال « لا » .. فلم يَمُتْ ؛

وظل رُوحاً أبديّة الألم !

(مزج ثان) :

مُعلِّقُ أنا على مشائق الصباح

وجيبتي — بالموت — محنيّة

لأننى لم أحنها .. حَيّة !

... ..

ياخواتي الذين يعبرون في الميدان مطرقيّن

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر :

لا تخلجوا .. ولترفعوا عيونكم إليّ

لأنكم مسلوقون جانبي .. على مشائق القيصر .

فلترفعوا عيونكم إليّ

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عينيّ :

يبتسم الفناء داخلي .. لأنكم رفعم رأسكم .. مرّة !

« سيزيف » لم تعد على أكتافه الصخرة

يحملها الذين يولدون في مخادع الرقيق .

والبحر .. كالصحراء .. لا يروى العطش

لأن من يقول « لا » لا يرتوى إلا من الدموغ !

.. فلترفعوا عيونكم للثائر المشنوق

فسوف تنتهون مثله .. غدا .

وقبلوا زوجاتكم .. هنا .. على قارعة الطريق

فسوف تنتهون ها هنا .. غدا .

فالانحناء مر ..

والعنكبوت فوق أعناق الرجال ينسج الردى

فقبلوا زوجاتكم .. إنى تركتُ زوجتى بلا وداع

وإن رأيت طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراع
فعلّموه الاخفاء !
علموه الاخفاء !

الله . لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا !
والودعاء الطيبون ..

هم الذين يترثون الأرض في نهاية المدى
لأنهم .. لا يشنقون !
فعلّموه الاخفاء .

وليس ثمّ من مفرّ .
لا تحلموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد !

وخلف كل ناثر يموت : أحزان بلا جدوى ..

ودمعة سدى !

(مزج ثالث) :

ياقيصر العظيم : قد أخطأت .. إني أعترف

دعني — على مشنقتي — ألتئم يدك

ها أنذا أقبل الحبل الذي في عنقني يلتف

فهو يدك ، وهو مجدك الذي يجبرنا أن نعبدك
دعني أكفر عن خطيئتي

أمنحك — بعد ميتتي — جمجمتي

تصوغ منها لك كأساً لشرابك القوي

.. فان فعلت ما أريد :

إن يسألوك مرة عن دمي الشهيد

وهل ترى منحتني « الوجود » كي تسلبني « الوجود »

فقل لهم : قد مات .. غير حاقِد عليّ

وهذه الكأس — التي كانت عظامها جمجمته —

وثيقة الغفران لي .

ياقاتلي : إني صفحت عنك ..

في اللحظة التي استرحت بعدها مني :

استرحت منك !

لكنني .. أوصيك إن تشأ شنق الجميع

أن ترحم الشجر !

لا تقطع الجنوع كي تنصبها مشانقا

لا تقطع الجنوع

فرمبا يأتي الربيع

« والعامُ عامُ جوع »

فلن تشم في الفروع .. نكهةَ الثمر !

ورمبا يمرُّ في بلادنا الصيفُ الحَظيرُ

فتقطع الصحراء . باحثاً عن الظلال

فلا ترى سوى الهجير والرمال والهجير والرمال

والظمأُ التاريُّ في الضلوع !

ياسيد الشواهد البيضاء في الدجى ..

ياقيصر الصقيع !

(مزج رابع) :

ياأخوتي الذين يعبرزن في الميدان في انحناء

منحدرين في نهاية المساء

لا تحلموا بعالم سعيد ..

فخلف كل قيصر يموت : قيصرٌ جديد .

وإن رأيتم في الطريق « هانيبال »

فأخبروه أنني انتظرته. مدني على أبواب « روما » المجهدة

وأنْتَظَرْتُ شيوخ روما — تحت قوس النصر — قاهر الأبطال

ونسوة الرومان بين الزينة المعربة

ظللن ينتظرن مقدم الجنود ..

ذوى الرؤوس الأطلسية المجددة

لكن « هانيبال » ما جاءت جنوده المجددة

فأخبروه أنني انتظرته .. انتظرته ..

لكنه لم يأت !

وأنني انتظرته .. حتى انتهت في جبال الموت

وفي المدى : « قرطاجة » بالنار تحترق

« قرطاجة » كانت ضمير الشمس : قد تعلّمت معنى الركوع

والعنكبوت فوق أعناق الرجال

والكلمات تحتنق

يا اخوتي : قرطاجة العذراء تحترق

فقبلوا زوجاتكم ،

إني تركت زوجتي بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها .. بلا ذراع

فعلّموه الانحناء ..

علموه الانحاء ..

علموه الانحاء ..

(أبريل ١٩٦٢)

الأرض .. والجرح الذي لا يفتح

الأرض مازالت ، بأذنيها دمّ من قرطها المنزوع ،
قهقهةً اللصوص تسوق هودجها .. وتركها بلا زاد ،
تشدُّ أصابع العطش المميت على الرمال ،
تضيق صرختها بمحمة الخيول .
الأرض ملقاة على الصحراء .. ظامئة ،
وتلقى الدلو مرات .. وتخرجه بلا ماء !
وترحف في هيب القيط ..
تسأل عن علوبة نهرها ..
والنهر سمّهُ المغول
وعيونها تخبو من الاعياء ، تستسقى جنور الشوك ،
تنتظر المصير المر .. يطحنها الذبول

• • •

من أنت يا حارس ؟

إلى أنا الحجاج ..

عصبي بالتاج ..

تشرينها القارس !

الأرض تُطوى في بساط « النفط » ،

تحملها السفائن نحو « قيصر » كى تكون إذا تفتحت
اللغائف :

رقصة .. وهدية للنار في أرض الخطاة .

دينارها القصدير مصهور على وجنتها .

زئارها المحلول يسأل عن زناة الترك ،

والسياف يجلبها ! وماذا ؟ بعد أن فقدت بكارتها ..

وصارت حاملاً في عامها الألفى من ألفين من عشاقها !

لا النيل يغسل عارها القاسى .. ولا ماء الفرات !

حتى لزوجة نهرها الدموى ،

والأموى يقعى في طريق التبع :

« .. دون الماء رأسك يا حسين .. »

وبعدها يتملكون ، يضاجعون أرامل الشهداء ،

ولا يتورعون ، يؤذنون الفجر .. لم يتطهروا من رجسهم ،

فالحق مات !

هل ثبت الثقفى

قناعه المهزوز ؟

فقد مضى تموز ..

بوجهه العربى !

أحببت فيك والمجد والشعراء ..

لكن الذى سرواله من عنكبوت الوهم :

يمشى في مدائنك المليئة بالذباب

يسقى القلوب عصارة الخدر المنمق ،

والطواويس التى نزعت تقاويم الحوائط ،

أوقفت ساعاتها ،

وتجشأت بموائد السفراء ..

تنتظر النياشين التى يسخو بها السلطان ..

فوق أكابر الأغواث منهم !

باسماء :

البكاء بين يدي زرقاء الجمامة

أيتها العرافة المقدسة ..

جئت إليك .. متخناً بالطعنات والدماء

أزحف في معاطف القتلى ، وفوق الجثث المكذبة

منكسر السيف ، مغبر الجبين والأعضاء .

أسأل يا زرقاء ..

عن فمك الياقوت عن ، نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع .. وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكسرة

عن صور الأطفال في الخوذات .. ملقاة على الصحراء

عن جارئ الذي يهيمُّ بارتشاف الماء ..

فيثقب الرصاصُ رأسه .. في لحظة الملامسة !

عن الفم المحشو بالرمال والدماء !!

أسأل يا زرقاء ..

عن وقفتي العزلاء بين السيف .. والجدار !

عن صرخة المرأة بين السبي . والفرار ؟

أكل عام : نجمة عربية تهوى ..

وتدخل نجمة برج البرامك ! ؟

ما تزال مواعظُ الخصيان باسم الجالسين على الحراب ؟

وأراك .. و « ابن حلول » بين المؤمنين بوجهه القزحي ..

يسرى بالوقعة فيك ،

والأنصار واجمة ..

وكل قريش واجمة ..

فمن يهديه للرأى الصواب ؟ !

ملثماً يخطو ..

قد شوّهته النار !

هل يصلح العطار

ما أفسد النفط ؟

• • •

لم يبق من شيء يقال .

يا أرض :

هل يلدُ الرجال ؟

كيف حملت العار ..

ثم مشيتُ ؟ دون أن أقتل نفسي ؟ ! دون أن أنهار ؟ !

ودون أن يسقط لحمي .. من غبار التربة المدنسة ؟ !

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. بالله .. باللعنة .. بالشيطان

لا تغمضى عينيك ، فالجرذان ..

تلعق من دمي حساءها .. ولا أردّها !

تكلمى ... لشدّ ما أنا مُهان

لا الليل يُخفى عورتي .. ولا الجدران !

ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدّها ..

ولا احتبائي في سحائب الدخان !

.. تقفز حولي طفلةٌ واسعة العينين .. عذبة المشاكسة

(— كان يقصُّ عنك يا صغيرتي .. ونحن في الخنادق

فففتح الأزرار في ستراتنا .. ونسند البنادق

وحين مات عَطشاً في الصحراء المشمسة ..

رطب باسمك الشفاه اليابسة ..

وارتخت العينان !)

فأين أخفى وجهي المتهم المدان ؟

والضحكة الطروب : ضحكته ..

والوجه .. والغمازتان ! ؟

• • •

أيتها النبية المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سَكَّتْ سَنَةٌ فَسَنَةٌ ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لي « اخرس .. »

فخرستُ .. وعميت .. واكتممتُ بالخصيان !

ظللْتُ في عبيد (عيس) أحرس القطعان

أحتزُّ صوفها ..

أردُّ نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسة ..

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان

دُعيت للميدان !

أيتها العرافة المقدسة ..

ماذا تفيد الكلمات البائسة ؟

قلبي لهم ما قلبي عن قوافل الغبار ..

فاتهموا عينيكي ، يازرقاء ، بالبوازر !

قلبي لهم ما قلبي عن مسيرة الأشجار ..

فاستضحكوا من وهمك الرثائر !

وحين فوجئوا بحمد السيف : قايضوا بنا ..

واتمسوا النجاة والفرار !

ونحن جرحى القلب ،

جرحى الروح والقلم .

لم يبق إلا الموت ..

والحطام ..

والدمار ..

وصيبة مشردون يعبرون آخر الأنهار

ونسوة يسقن في سلاسل الأسر ،

وفي ثياب العازر

مطاطقات الرأس .. لا يملكن إلا الصرخات التاعسة !

.....

أنا الذى ما ذقت لحم الضان ..

أنا الذى لا حول لى أو شأن ..

أنا الذى أقصيت عن مجالس الفتيان ،

أدعى الى الموت .. ولم أدع الى المجالسة !!

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. تكلمى ..

فها أنا غلى التراب سائل دمي

وهو ظمىء .. يقلب المزيدا .

أسائل الصمت الذى يخنقنى :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٢ »

« أجنடلاً يحملن أم حديدا .. ١٣ »

فمن ترى يصدقنى ؟

أسائل الرُكع والسجودا

أسائل القيودا :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٤ »

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٤ »

• • •

ها أنت يازرقاء

وحيدة ... عمياء !

وماتزال اغنيات الحب .. والأضواء

والعربات الفارحات .. والأزياء !

فأين أخفى وجهي المشوها

كفى لا أعكر الصفاء .. الأبله .. الموهما .

في أعين الرجال والنساء ؟!

وأنت يازرقاء ..

وحيدة .. عمياء !

وحيدة .. عمياء !

(١٣ - ٦ - ٦٧)

أيلول

(جوقة خلفية)

(صوت)

(١)

ها نحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة

فحلت اللعنة

في جيلنا المخبول !

... ..

قد حلت اللعنة

في جيلنا المخبول

فنحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة !

... ..

أيلول الباكي في هذا العام

يخلع عنه في السجن قلنسوة الاعدام

تسقط من سترته الزرقاء .. الأرقام !

يشي في الأسواق : يبشر بنبوته الدموية

ليلة أن وقف على درجات القصر الحجرية

يقول لنا : ان سليمان الجالس منكفئا

فوق عصاه

قدمات ! ولكننا نحسبه يغفو حين نراه !!

أواه .

قال .. فكمنناه ، فقأنا عينيه الذاهلتين

وسرقنا من قدميه الخفين الذهبيين

وحشرناه في أروقة الأشباح المزدهمة

(صوت) :

ونسيتنا يا ايلول الكلمة

(٢)

في سورية

كانت تنهاوى رايات أمية
فرغناها علماً علماً .. ووقعنا في أسر الروم
لكننا في طابور الأسرى المهزوم
كنا ننتظر زهاد بن أبيه

نيمود ، فينقذنا مما تنسريل فيه .
كنا نبصر وردتنا الصابحة الحمراء
تنمو في شرفة بيت في حلب الشهباء
وظلمنا ننتظر .. تطول الأظفار .. ويبيض
السالف

.. ذات صياح عاصف
كنا نشرب حين أتتنا الأنباء
.. فتعكر لون الماء !

(جوقة خلفية) :

فحلت اللعنة !

..

الأمراء الصم

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

... ..

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

والأمراء الصم

ماتوا على المداخل

... ..

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

(٣)

لو زرت دمشق

لوقفت على أبواب « المزه » ولتأبعت

الطرق

ودلفت الى غرفات التعذيب ..

(صوت) :

ورأيتك تضحك يا أيلول وأنا على

الأخشاب تدق .

فلقد أبصرتك في آخر ليلة

مصلوباً تتأرجح في باب زويلة !

ولمست أصابع قدميك هنيهات ما بين

الدشهة والتكذيب

وحشوت جراحك بتراب الأرض المذبة

ولفقتك في الرايات المنكودة

وحملتك حتى واريستك في مقبرة

الصمت .. وراء الشرق .

لكنى أسمع صوتك في الليل ؛ تغنى

يا ليلول

في ضجة المذياع

يخف صوت الحق !

فمن يقول الصدق .

(جوقة خلفية) :

كى زهف الأسماع ؟

... ..

من ذا يقول الصدق

كى زهف الأسماع ؟

فضجة المذياع

تخفت صوت الحق !

... ..

يخفت صوت الحق

(١)

عرفتُ هذه المدينة الدخانية ..
مقهى فمقهى .. شارعاً فشارعاً
رأيتُ فيها (البشمك) الأسود والبراقع
وزرتُ أوكار البغاء واللصوصية !
على مقاعد المحطة الحديدية ..
نمت على حقائبي في الليلة الأولى
(حين وجدت الفندق الليلي مأهولاً ؟)

وانقشع الضباب في الفجر .. فكشفت البيوت والمصانعا
والسفن التي تسير في القناة ؛ كالأوز ..
والصائدين العائدين في الزوارق البخارية !

(رأيتُ عمال « السمد » يهبطون من قطار « الحجر » العتيق
يعتصمون بالمناديل الترابية
يدندنون بالمواديل الحزينة الجنوبية

تجعل من تجويفات عظام الموتى : قصبات
الأرغول
فيجىء غناؤك . ممزوجاً بنحيب !

فمن يقول الصدق ؟

.....

(صوت) :

نتظر الريح

من كل ضريح

.....

من كل ضريح

نتظر الريح

.....

(سبتمبر ١٩٦٧)

(الجوقة) :

هذا العام ..

أعطينا جرحانا آخر ما يملكه الصيف من
الأنسام

وبقينا في المهدي المختنق المبحوح .

لكننا من كل ضريح

نتظر الريح !

.....

ويصبح الشلوع .. درباً .. فزقاقاً .. فمضيئاً
فيدخلون في كهوف الشجن العميق
وفي بحار الوهم : بصطادون أسماك سليمان الخرافية !

• • •

عرفت هذه المدينة ؟

سكرت في حاناتها

جُرحت في مشاحناتها

صاحبت موسيقارها العجوز في (تواشيح) الغناء

رهنت فيها خاتمي .. لقاء وجبة العشاء

وابتعتُ من « هيلانة » السجائر المهرية .

وفي « الكبايون » سبحتُ

واشتهيت أن أموت عند قوس البحر والسماء !

وسرتُ فوق الشعب الصخرية المدبية

ألقطُ منها الصدف الأزرق والقواقع .

وفي سكون الليل ؛ في طريق « بور توفيق »

بكيت حاجتي الى صديق

وفي أثر الشوق : كدت أن أصير .. ذذببة !

(٢)

والآن ؛ وهي في ثياب الموت والفداء

تحصرها النيران .. وهي لا تلتين

أذكر مجنسى اللاهي .. على مفاهي « الأريمين »

بين رجالها الذين ..

يقتسمون خبزها الدامي . وصمتها الحزين

ويفتح الرصاصُ — في صدورهم — طريقنا إلى البقاء .

ويسقط الأطفال في حاراتها

تقبض الأيدي على خيوط « طائراتها »

وترنخي — هامة — في بركة الدماء .

وتأكل الخرائق ..

بيوتها البيضاء والحدائق ..

ونحن ها هنا .. نعصُ في لجام الانتظار !

نصفي الى أنبائها .. ونحن نحشو فمنا ببيضة الافطار !

تسقط الأيدي عن الأطباق والملاعق

أسقطُ من طوابق القاهرة الشواهد

أبصر في الشارع أوجه المهاجرين

أعانق الحنين في عيونهم .. والدكريات

أعانق المحنة والنبات .

.....

هل تأكل الخرائق

بيوتها البيضاء والحدائق
بينما تظل هذه « القاهرة » الكبيرة
آمنة .. قريه ؟!

تضئ فيها الواجهات في الحوانيت ، وترقص النساء ..
على عظام الشهداء ؟!

يوميات كهل صغير السن

- ١ -

أعرف أن العالم في قلبي .. مات !
لكني حين يكفُ المدياعُ .. وتنغلق الحجرات :
أنبش قلبي ، أخرج هذا الجسد الشمعي
وأسجيه فوق سرير الآلام .
أفتح فمه ، أسقيه نبيذ الرغبة
فلعل شعاعاً ينبض في الأطراف الباردة الصلبة
لكن .. تنفتت بشرته في كفي
لا يتبقى منه .. سوى : جمجمة .. وعظام !

- ٢ -

تنزلقين من شعاع لشعاع
وأنت تمشين — تُطالعين — في تشابك الأغصان في الحدائق
حالة .. بالصيف في عُرفات شهر العسل القصير في الفنادق
ونزهة في النهر ..
واتكأة على شراع !

.. وفي المساء ، في ضجيج الرقص والتعانق

تنزلقين من ذراع لذرّاع !

تنتقلين في العيون ، في الدخان العصبي ، في سخونة الإيقاع

وفجأة .. ينسكب الشراب في تحطم الدوارق

يبيل ثوبك الفرائشي .. من الأكام حتى الحاصرة !

وحين يُفغر المعنى فمه مرتبكا

تفجرين ضحكا !

تشعلين ضحكا !

وتخلعين الثوب في تصاعدات النغم الصارخ .. والمطارق

وتخلعين حُفك المشتبك

ثم ...

تواصلين رقصك المجنون .. فوق الشظيّات المتناثرة !!

- ٣ -

عينا القطعة تنكمشان ..

فيدق الجرسُ الخامسة صباحا !

أتحمس ذقتي النابتة .. الطافحة بثوراً وجراحا

(.. اسمع خطو الجارة فوق السقف

دقّ الأغطية ، خيرُ الصنبور

حشخشة المذياع ، عدوية جسدي المبهور

(.. والخطو المتردد فوق ليس يكف .. !)

لكي في دقة بائعة الألبان :

تتوقف في فكي .. فرشاة الأسنان !

- ٤ -

في الشارع ..

أتلاقى - في ضوء الصبح - بظليّ الفراغ :

تنصافح .. بالأقدام !

- ٥ -

حبيبتي ، في الغرفة المجاورة

أسمع وقع خطوها .. في روحة وجيفة

اسمع قهقهاتها الخافتة البريئة

اسمع تلماتها المهازرة

حتى حفيف ثوبها ؛ وهي تدور في مكانها .. تهم بالمغادرة

(.. يومان ؛ وهي إن دخلت :

تشاغلت بقطعة التطريز ..

بالنظر العابر من شباكها الى الافريز ..

بالصمت إن سَأَلْتُ !

.. وعندما مرت على ؛ بقعة مضيئة ؛
أُفْتُت وراء ظهرها .. تحية انصرافها الفاترة
فاحتفت أذناي ، واحتبأت في أعمدة الوظائف الشاغرة
حتى تلاشي خطوها .. في آخر الدهليز !

- ٦ -

أطرق باب صديقي في منتصف الليل

(تَبَّ القِطْعَةُ من داخل صندوق الفصالات)

كَلَّ الأبواب ؛ العلوية والسفلية ، تُفْتَحُ إلا .. بابه

وأنا أطرق .. أطرق

حتى تصبح قبضتي المحمومة خفاشاً يتعلق في بندول !

... ..

يتدفق من قبضتي المجروحة خيط الدم

يتفرق .. عذباً .. منساباً .. يتساند في المنحنيات

تغسل الرئتان المتعبتان من اللون الدافئ ،

ينفث السَمَّ ..

يتلاشى الباب المغلق .. والأعين .. والأصوات

... وأموت على الدرجات !!

تدق فوق الآلة الكاتبة القديمة

وعندما ترفع رأسها الجميل في افتراق الصفحتين

تراه في مكانه المختار .. في نهاية الغرفة

يرشف من فنجان رشفه

يربح عينيه على المنحدر الثلجي ، في انزلاق الناهدين !

(.. عينيه هاتين اللتين

تغسل آثارها عن جسها - قبيل أن تنام - مرتين !)

وعندما ترشقه بنظرة كظيمة

فيسترد لحظة عينيه : يتسم في نعومة

وهي تشد ثوبها القصير فوق الركبتين !

... ..

.. في آخر الأسبوع

كان يُعَدُّ - ضاحكاً - أسنانها في كتفيه

فقرصت أذنيه ..

وهي تدس نفسها بين ذراعيه .. وتشكو الجوع

- ٨ -

حين تكونين معي أنتِ :

أصبح وحدي ..

في بيتي !

... ..

- ٩ -

جاءت إليّ وهي تشكو الغثيان والدوار
(.. انفتحت راتبي على أقراص منع الحمل !)
ترفع نحوى وجهها المبتل ..
تسألني عن حل !

... ..

هنأني الطبيب ! حيناً أصطحبها اليه في نهاية النهار
رجونه أن ينهي الأمر .. فتأز (.. واستدار يتلو قوانين
العقوبات عليّ كي أكف القول !)
هامش :

أفهمته أن القوانين تُسنّ دائماً . لكي تحرق
أن الضمير الوطني فيه يُملأ أن يقلّ النسل
أن الأثاث صار غالباً لأن الجذب أهلك الأشجار
لكنه .. كان يخاف الله .. والشرطة .. والتجار !

- ١٠ -

في ليلة الزفاف ؛ في التوهج المرهق

ظلت تُدير في الوجوه وجهها المنتصر المشرق

وحين صرنا وحدنا - في لحظة الصمت الكثيف الكلمات

داعبت الخاتم في اصبعها الأيسر ، ثم انكشمت عجلى !

(.. كانوا - وراء الباب - يكتسون النور والظلاً

وتخلع الراقصة الشقراء عريها .. وتحسب الهبات !)

قلت لها « ما أجمل الحفلا »

فاطرقت باسمّة الغمازتين والسمات .

وعندما لمستها : تتلجت أطرافها الوجلي !

وانفلتت عجلى .. !

كأنها لم تذق الحب .. ولم يثر بصدرها التنهدات !

- ١١ -

مذ علّقنا - فوق الحائط - أو سمة اللهفة

وهي تطيل الوقفة في الشرفة !

واليوم ..

قالت إن حبالى الصوتيّة تقلقها عند النوم !

.. وانفردت بالغرفة !!

- ١٢ -

في جلسة الافطار ، في الهنبة الطفليّة المبكرة

أعصب عيني بالصحيفة التي يدسها البائع تحت الباب

اجازة فوق شاطئ البحر

أغسطس ،

الاسكندرية :

والبؤد ينشع في رتتين ..

يسد مسامهما الربو .. والأنرية !

ooo

طفولة « مايو » شيخ ،

وفي الصبح : نرفع راياتنا البيض للبحر .. مستسلمين ،

لينحترنا الملح ، يمنح بشرتنا الشمس البرصى ،

ونفرش أسطة الظهير ، نجلس فوق الرمال ،

نمزج في حزننا الغامض الشيقى .. لكى يتوهج !

(.. حين همنا بامساكه : احترقت يدنا !) ،

نتلمس ندى البكارة .. كيف تجف النضارة فيه ،

فيفرز سماً .. ودوداً يعيث بتفاحة معطبة !؟

.....

وفي الليل . نخفض راياتنا ..

وزوجتى تبدأ ثرثرتها اليومية المتأثرة
وهى تصب شايها الفاتر فى الأكواب !
(.. تقص عن جاريتها التى ارتدت ..
وجارها الذى اشترى ..

وعن شجارها مع الخادم والبواب والقصاب ،
.. ثم تشد من يدي : صفحة الكرة !

- ١٣ -

.. العالم فى قلبى مات .

لكنى حين يكف المذباغ ؛ وتغلق الحجرات :

أخرجه من قلبى ، وأسجيه فوق سريرى
أسقيه نبيذ الرغبة

فلعلّ الدفء يعود الى الأطراف الباردة الصلبة

لكن .. تفتت بشرته فى كفى

لا يتبقى منه سوى .. جمجمة .. وعظام !

..... وأنام !!

(١٩٦٧)

تنقضُ الهدنةَ الأبديةَ ،

نجروُ أن نساءلُ « هل نحنُ موتى » ؟

وجولأثنا في الملاهي ،

اهتزازأثنا في الترام ،

تلاصقنا في ظلام المداخل ،

ذبذبة النظرات أمام المعارض والعابرات الرشيقات ،

مركبة الخيل حين تسير الهوينى بنا ،

الضحكات ، النكات :-

بقايا من الرّيد المرّ .. والرغوة الذاهبة !!!

« نرى نحن موتى .. »

ونشبُ أنيابنا في الطيور المهاجرة المتعبّة !!

(٢)

صديقى الذى غاص في البحر .. ماث !

فحفظتُه ..

(.. واحتفظتُ بأسنانه ..)

كلُّ يوم إذا طلع الصبحُ : أخذُ واحدة ..

أقذف الشمسَ ذات الحياء الجميل بها ..

وارددُ : « يا شمسُ ؛ أعطيكِ سنّته اللؤلؤية ..

ليس بها من غبار .. سوى نكهة الجوع !!

رُدّيه ، رُدّيه .. يَرو لنا الحكمة الصائبة !

ولكنها ابتسمت بسمّة شاحبة !

.....

وكانت على البحر رايةً حزينةً ، وغضبةً ربح

ونحن - مع الصمت - نحمل جثثانه فوق اكتافنا ،

ثم نهبط في طرقات المدينة ،

نستوقف العابرين ،

نسائلهم عن طريق المدافن .. والرحلة الخائبة !

ولكننا في النهاية ..

عدنا الى شاطئ البحر .. والراية الغاضبة !!

• • •

بدايتنا البحر ..

- حين قصدنا المقابر ! -

كيف رجعنا إليه ؟

وكيف الطريق اشتبّه ؟

(١٩٦٦)

موت مغنية مغمورة

صوت (١) :

أغلقى المذياع ؛

هذا زمن السكينة ،

« سالومي » تغنى ..

من تُرى يحمل رأس « المعمدان » !؟

في انكساراتِ الظلال ..

تبدأ الأحزانُ في أعماقنا إيقاعها الهاديء ،

تصحو الرغبة المرتعشة .

تتوالى قطراتُ الصمت من صنوبرها الفضئى ،

كفى ترسم في صفحة ماضينا .. الدوائر

صورةً لأمرأة تجلس في البهو — تحوُّكُ الصوف —

في مئزرها البيئى ، لفاء الضفائر

نقراتُ المطر العذبة في النافذة البيضاء ،

دفعُ الدفء من تمتمة القطعة ،

موسيقى السكون الموحشة

مركباتُ الغد تدنو في الخيال ..

تسهل الأفراسُ عند الباب :

« أين القادمون ؟ »

— الليل .. الوحدة .. والشوقُ المحال !

(تقاسيم) :

عقب استعراضها الفاشل .. لم تخلع رداء الرقص ،

ظلت خلف أستار « الكواليس » ،

تُرُدُّ السحبُ الزرقاء عن أعينها ، تبكى شباباً ..

كانت المتعة فيه : قطعة الجبن .. وكأسين من « الروم »

لكى ترحم في غرفة ريفي من الطلاب ..

لا تملكُ يمناً سوى الكسرة والتبغ الرخيص ،

— الآن يمشى خلفه .. سربٌ من الأطفال ،

عند النوم يسطون على منظره الطيبى .. حتى لا يرى

وجهها صافٍ .. وعيناها غديران من الحزن ،

ويدنو الخادمُ الأسمر ، يلقى باقة الورد ،

ويلقى دعوةً للسهر ..

(. الآن ستمضى ،

وغدا سوف يوافيها الطيبُ — الموتُ والاجهاضُ —

هذا شهرها الثالث . رغم الحذر الشائع !
حتى أنت يا أقرصن منج الحمل !؟
ما من أحد في هذه الدنيا جدير بالأمان !

الموت في لوحات

(١)

مصفوفة حقايبى على رفوف الذاكرة .

والسفر الطويل ..

يبدأ دون أن تسير القاطرة !

رسائل للشمس ..

تعود دون أن تمس !

رسائل للأرض ..

ترد دون أن تفض !

بيل ظلى في الغروب دون أن أميل !

وها أنا في مقعدى القانط .

وريقة .. وريقة .. يسقط عمري من نتيجة الحائط

والورق الساقط

يطفو على بحيرة الذكرى ، فتلتوى دوائرنا

وتختفى .. دائرة .. فدائرة !

(٢)

شقيقتى « رجاء » ماتت وهى دون الثالثة .

منفرد

من يفترس الحمل الجائع

غير الذئب الشيعان ؟

ارتاح الرب الخالق في اليوم السابع

لكن .. لم يسترح الانسان

صوت (٢) :

وحدها .. تساقط الدمعة من عين الليال

بعد أن علقها الوهم طويلا ..

وحدها ، سرعان ما ترشفها الأرض ؛

وينساها الرجال

شربوا قهوتها المرة ، والمذايق مازال يفتى !

والمصاييح تضاء !

ماتت وما يزال في دولاب أمي السرى .

سندلها الفضى !

صدارها المشغول ، قرطها ، غطاء رأسها الصوفى

أرنها القطنى !

وعندما أدخل بهو بيتنا الصامت

فلا أراها تمسك الحائط .. عليها تقف !

أنسى بأنها ماتت ..

أقول . ربما نامت ..

أدور في الغرف .

وعندما تسألني أمي بصوتها الخافت

أرى الأسى في وجهها الممتقع الباهت

وأستبين الكارثة !

(٣)

عرفتها في عامها الخامس والعشرين .

والزمن العنّين ..

ينشب في أحشائها أظفارَه الملوّنة .

صلّت إلى العذراء ، طوقت بكل صيدلية

تقلبت بين الرجال الخشدين !

.. وما تزال تشتري اللفائف القطنية !

.. ما تزال تشتري اللفائف القطنية !

... ..

وحين ضاجعت أباها ليلة الرعد

تفجرت بالخصب والوعيد

واختلجت في طينها بشارة التكوين !

لكنها نادت أباها في الصباح ..

فظل صامتا !

هزته .. كان ميتا !!

(٤)

من شرفتي كنت أراها في صباح العطلة الهادىء

تنشر في شرفتها على خيوط النور والغناء

ثياب طفلها ، ثياب زوجها الرسمية الصفراء

قمصانه المغسولة البيضاء .

تنشر حولها نقاء قلبها الهانىء

وهى تروح ونحىء .

... ..

والآن بعد أشهر الصيف الردىء

رأيتها .. ذابطة العينين والأعضاء

تنشر في شرفتها على حبال الصمت والبكاء

(٥)

حبيبتي في لحظة الظلام ؛ لحظة التوهج العذبة
تصبح بين ساعدتي جثة رطبة !
ينكسر الشوق بداخلي ، وتحفت الرغبة
أموء فوق نخدها
أضرع فوق نهدها
أود لو أنفذ في مسام جلدھا
لكن .. يظل بيننا الزجاج .. والغياب .. والغربة !

.....

و ذات ليلة ، تكسرت ما بيننا حواجز الرهبة
فاحتضنتني .. بينا نحن نفوس في قرارة التربة
تبعثت في رأسها شرائح الصورة والنجوم
واختلطت في قلبها الأزمنة المشيم
لكنها وهى تناجيني
سمعتها تنادينى
باسم حبيبها الذى قد حطم اللعبة
مخلفاً في قلبها .. ندبة !!

بطاقة كانت هنا

(١)

المنزل الثالث بعد المنحنى
الطابق الأخير .
بطاقة صغيرة كانت هنا
وخيط ضوء كان من خلال بابها ينير !
الطابق الأخير ..
الوحشة السوداء في الأعصاب تنفوس
يدى على الجرس :
سدى .. سدى !!
تراجعت في أذني رحلة الصدى
وأساقت الرماد من لفافتي !
كانت هنا حبيبتي
عيونها محابر الضياع
عام .. وعامان .. مدأها الخزين لم يجف
صلاة هرة إلى الشتاء خلف باب

وبسمة كأن نورساً على المدى يرقأ !
ها أنذا ..
يدّ تسانددت على الجدار
وخطوة تهبط للقرار !

(٢)

حانوث خمّار كحيب
يرسم في كوسه عرائس الأحلام ؛ في الزجاج
توهجت عند امتلائها ..
وبعد برهة .. عاودها الشحوب !
حبيبتى ملاح ابتسامية على بريقها الوهاج
« بنلوب » أين أنت يا حبيبتى الحزينة ؟
صيفان ملحدان في مخاطر الأمواج
كقبضية من العفونة ..
أعود ، كى يغتسل الحنين في بحيرة اللهب .
لكننا « بنلوب » ..
بطانة كانت هنا !
ووحشة غريبة ، وثقبُ باب لم يعد يضيء !
وعنكبوت قد أتمّ - فوق ركنه - نسيجه الصوفى !

لقد أتمّ العنكبوت ما بدأت في انتضارك الوفى !
ما كان كان ..

لكننا ملاح الزجاج
لا تعرف النسيان !

(٣)

الليل عند المنتصف
يا سائق السيارة العجوز .. قف
المنزل الثالث بعد المنحنى ..
لكنها يا صاحبي العجوز .. لم تعد هنا !
امض هناك حيث لا مكان
حيث البيوت دوغما عنوان
أوغل بنا في رحلة السراب
قافلة الغناء تستعد للمسير خلف دورة المضاب
لا تسأل الحادين عن وجهتها ، عن المآب
فهم هناك يرقبون أصبع النجوم
ضاعت معالم الطريق في الضباب .
حبيبتى لا بدّ أنها هناك
تسأل عن رواحل ارتدّت من الغروب
لا ترتبك ، فقد يضيع العمر في هنيهة ارتباك .

حبيبتى : لقد نجوتُ من « سلوم »
طفلك آتٍ من مدينة الخراب
الموت ما يزال مقعياً على الأبواب
الخاطئون ..

هم الذين يرحلون
في هذه القافلة المسدودة الدروب

... ..

سدى .. سدى ..
تراجعت في أذنتي رحلة الصدى
وأساقط الرماد من لفاتي

ظماً .. ظ

جسدى : صخرة صهرتها الظهيرة .
حلقتها يتفتت ،

والبحرُ بعد ذراعين .. بعد السماء !

فرسُ الموج تنفض أعرافها البيضُ ،
تعدو بمركبة الزرقة اللهيبة ،

لكنها تتحطم فوق الحواجز .. تهوى كسيرة !
أكشف الرأسَ تحت الرذاذ ،

أمدُ يدي حاملاً كوني القارغ الورقي ..

لتسبح فيه الفقاع ذات العيون الصغيرة
عطشٌ .. عطشٌ ، والنداء .

خنجر في الهواء !

حين صار فمي فضةً : وقف البيّء ..

عارياً .. نزعت ريشه يدها المحنقة .

قالت الزنبقة :

« أرخ عينيك .. وافتحهما .. »

ثم .. لم ألقها في شجيرتها المطرقة !

شعرها طائر جرفته الرياح
شعرها والوشاح

وهي تعدو .. وما بيننا الصمْتُ والقشعريرة !
كل من شربوا .. هربوا دون أن يدفعوا ثمناً للعزاء
رَحَلوا .. بعد أن قلبوا في التراب الاناء ..
ووفدَتْ على الحانٍ : لم أر غير الحطام ..
وذبال المصابيح .. والقط يعث بالفضلات الأخيرة .
— سيدى : مُلكك الحزنُ والكبرياء
خيظك ؟ انقطع الخيطُ منك ،

وعصفوره فُر دامي الجناح !

أمراء المدينة مروا إلى الصيد عند الصباح
الفريسة تجرى .. ولكن كليك يُرنحى الذئب
وهو يكم في رثيه النباح !

ooo

في سكون المساء

كنت أنقر عينَ الشهيد المحسّم فوق النُصْب
حين مرَّ السكارى .. يدورون في حلقات الصخب
يبدأون الغناء:

« ياعيون النساء »

« أمطرى .. أمطرى »

« من تُرى تشتري خنجري »

« لتخبئه في حقيبتها .. »

« ثم تبقر بطن غريمها المومياء ؟ »

(. أيها الأشقياء !)

.. مرّ في التائه المغترب

فتمدد فوق الحشائش .. ملتصقاً بالرخام

وتوسد دمعته ، ثم نام .

(ظمىء الناس للدم في كل قلبٍ محب ..

فاسقهم يا غلام !)

مرّ في غاسلو الطرقات

فأداروا خراطيمهم ، غسلوا النُصب الحجرى ،

.. وكنتُ على الدرجات

أتأوه مرتعشاً ، وثيابي تلصق في جسدى المضطرب

والرياح تمه ، وتصفعنى بالعواء .

... ..

أهلّى الغرباء .

عثروا لى مع الصبح ، أهذى بغيوبة الموت ،

محتقن الوجه ، خاوى الوفاض

يتفتت حلقي لقطرة حُب ..

غير أن الينابيع جفت بعينى ، والبحر غاض ..

ويهوى البياض !

الحزن لا يعرف القراءة

تأكلنى دوائرُ العُبار .

أدور في طاحونة الصمب ، أذوب في مكاني المختار

شيئاً فشيئاً .. يختفى وجهي وراء الأفتحة

أعمدة البرق التي تطل من نوافذ القطار

كأنها سربٌ إوزٍ أسود الأعناق

يطلق في سكينتي صرخته المروعة

ويختفى .. متابعاً رحلته مع التيار !

(صوتك كان ؟

أم نعامُ الشهوة الماكر ما بين انفراج الشفتين ؟

هذا الذي يشبك قلبي خاتماً .. تحت نعومة القفاز

حتى إذا اغتسلت — في نهاية السهرة — من لزوجة الألفاظ

تخبئته على نافذة الحمام .. يستعيد ذكرياته ..

ويسترد الزمن الضائع بين الصورتين !)

توقفى أيتها الأشرطة البيضاء

فقد نرى الخيط الذي خلفه الثعبانُ فوق الصحراء

قد نرى عظام من ماتوا من الظمأ

قد نرى .. وقد نرى ..

كنها الأشياء ..

دب فيها نبضها الوحشي ، نبضها المكبوت

أدرو على وجهي دقيق دفتها ..

مزقاً من ورقات التوت .

شرح في العيون صولجانها المكسوة بالصدأ

في المقاهي ترفع الصوت ، وتحكي عن فضائح البيوت !

- في آخر العمر ، تصير الأذن عادةً ..

سلة مهملات .. !

...
(جوارب السيدة المرتجة)

ظلت تثير السخرية

وهي تسير في الطريق .

وحين شدتها : تمزقت ..

فانفجر الضحك ، ووارت وجهها مستخدية .

وهكذا أسقطها الصائد في شباك سيارته المفتوحة

فارتبكت وهي تسوي شعرها الطليق

وأشرقت بالبسمات الباكية !)

...
١٦٢

لقد فقدت مقعدى .. قبيل أن يرتفع الستار

وانكسرت في داخلي الرغبة في استرداده ، الرغبة في الشجار

فكل شيء يرتخي في لحظة التأهب المرتقبة

وتعبت الأيدي بأزرار قميصها المذهبة

وتنظفي فقاعة السخط .. ببسمة اعتذار !

شيئاً فشيئاً .. غاب عن قلبي خيط الضوء !

واللحظة المنتهية !

والنشوة الأولى التي تشد الظهر ..

حين يدق سمعنا إيقاع خطو إمرأة مقتربة !

وضحكة العذراء عندما يرشها رذاذ البحر !

والألم الذي يهضرنا لطفلة عرجاء !

والدفء في استغراق كهل جالس ، يحل في هدوء ..

مسابقات الكلمات .. !!

...
١٦٣

رعوسنا تسقط .. لا يسندها ..

إلا حواف الياقة المنتصبة !

فارحم عناني أيها الألم ..

واسند حطامي المنهار .

بكاية الليل والظهيرة

- ١ -

في كل ليل ..

تخلع الذكرى ملباسها المغيرة القديمة ،
تستحم برششات الضوء ؛ تغسل فيه ، وعشاء الطريق
وتسترد نضارة الألوان .. والمرح العديم .
نديانة .. كالظل ، تخلع حُفها المبلول ،
تستلقى جوارى في الظلام ؛ تضيء بشرتها :
برائحة التوغل في الحقول ..
برعشة القمر المؤرجح في مرايا النيل ..
بالقطرات تلمع في منابت شعرها المحلول ..
بالنبض الخجول .. يرف في استدفائها ..
باللغفة الغناء في الصوت الرحيم
.. وذراعها يلتف : يرتعش التوهج تحت لمستيه .
وتقلع آخر السفن المقدسة المضيفة من مرافئها ؛
تشق النهر ؛ تنغر ما تبقى من رمادى :
فوق أذرعة الحريف البائسات .. فتكتسى ،

١٦٤

فوق الشفاه اليابسات .. فترتوى ،
فوق المروج .. فتنطوى في الليل موسيقى الجنادب ،
في الحظائر .. يهدأ المهرُ الحرون ،
على مناقير الطيور .. فتقطع الأفراخ من توت الغناء الحلو
في عقم السماء .. فتنبض البشري ، وتنعقد الغيوم .

يا دقة الساعات

هل فاتنا .. مافات ؟

ونحن مازلنا ..

أشباح أمنيآت

في مجلس الأموات ؟!

- ٢ -

فاض النهارُ بنا ، فمزق عن تصوفنا معاطفنا ،
وألقانا على أعتاب مملكة النيمة ، والذباب يطنُ ،
والكلماتُ : أقداحُ مكسرة الحواف ..
إذا لثمنها .. تجرحت الرؤى !
والصمت : قضبان محمأة على وهج البكاء .
(فاض الأناء ، وعاملُ البرق الصغير يدق باب البيت ؛

١٦٥

كوفى أى شيء — فيه نغمس خبزنا الحجري — ملتهب
الدماء !

ندم الغبار يلح فوق وجوهنا ،
ونلوذ بالجدران نحفر فوقها أسماءنا .. لكنها تنفتت !
الجدران وهم ..

والرجال المصقون على مساحة صفحة الاعلان ،
والصور الثمينة في المعارض ، والنقوش على المعابد ،
والوسام العسكري لأبطال الشهداء ،
والزهو الذى يندس في رحم النساء .
(.. تلك المرارة :

سممت جلسات شاي العصر ..

سممت انتعاشتنا بلسع الماء في حمامنا الصيفي —
سممت البراءة في تساؤل طفلنا من أين جاء !)

يا آخر الدقات
قولى لنا .. من مات .
كى نحتسى ذممه
ونختم السهرات

« آو » وتسقط الشمس الصغيرة عن رداء النوم
تبكى المرأة الأفعى على كتف العشيقي ،
وتستزيد من البكائيات ، تلقم صدرها العارى يديه ..
— لعله يبنى بها بعد الحداد ! —
تدير عينها اللتين تندتا .. فأذابتا بقع الضلاء ؟)

كان الطريق يدير لحن الموت — كان جهنمى الصوت — :

فوق شرائط التسجيل ..

في أسلاك هاتفه المحتك ..

في صرير الباب من صدأ الغواية ..

في أزيز مراوح الصيف الكبيرة ..

في هدير محركات « الحافلات » ..

وفي شجار النسوة السوقى في الشرفات ..

في سأم المصاعد ..

في صدى أجراس إطفائية تعدو .. مصلصلة النداء .

(.. كوفى إذن ما شئت :

ساقطة تدور على مواخير الموانىء ،

وجه راهبة تضاجع صورة العذراء ،

أمّا تأكل الأطفال ،

ماذا تخفيء في حقيبتك العتيقة .. أيها الوجه الصفيق
أشهادة الميلاد ؟

أم صلِّ الوفاة ؟

أم التهمية تطرد الأشباح في البيت العتيق ؟

ماذا تخفيء أيها الوجه الصفيق !؟

ماذا تخفيء أيها الوجه الصفيق !؟

(١٩٦٦)

أشياء تحدث في الليل

إلى صلاح حسين ..

رخاوةُ النعاس تغمر المسافرين في قطار الليل ..

.. وفي حقول قرية بعيدة

شق السكون — فجأة — عواءً ذئب

وانعقد الحليب في الضروع

وانطلق رصاصاً :

فكفَّت الأشياء — بعدها — عن الوجيب ..

هنيئةً ، ثم استعادت نبضها الرتيب ..

وكانت الليلة .. لا تزال مقمرة !

(كان النشيدُ الوطني يملأ المذياع منهاً برامج المساء

وكانت الأضواء تنطفئ ..

والطرقات تلبس الجوارب السوداء

وتغمر الظلال روح القاهرة .)

والدم كان ساخناً يلوّث القضبان

هذا دمّ الشمس التي سترشق ، الشمس التي ستغرب ،

الشمس التي تأكلها الديدان !

دم القتييل أحمر اللون ،

دم القتييل أخضر الشعاع

خيطة عليه تُنشر الدموع .. كى تحف في أشعة الصبح

(وكان مبنى الاتحاد صامتاً .. منطفئ الأضواء

تسرى إليه من عير « هيلتون القريب ..

أغنية طروب !)

وكان وجهه النبيل مصحفاً عليه يُقسم الجياع

وكانت الذراع ..

فارعة ، كأن محراثاً يشق الأرض !

كانت الذراع ..

ضامرة .. كبذرة القمح

ضامرة كالسنّة الأولى التي تنبت في فم الرضيع !

(وكانت المطابع السوداء تلقى الصحف .. البيضاء

وصاحبان في ترام العودة الكسول

بختصمان في نتائج الكرة .

وفي طريق الهَرَم الطويل .

تبادلت سيارتان — كادتَا في الليل أن تصطدما —

السباب !)

وفي الصباح ، والنشيدُ الوطنيُّ يملأُ الأسماع

كان فرأشُ الحقل يبدأ النشيد

وكانت الأصواتُ في القرى .. جنازيرةً الايقاع

ورحلةُ الموال في الضلوع تفرد القلوع :

« أدهم مقتول على كل المروج »

« أدهم مقتول على الأرض المشاع »

.....

وكان وجهه النبيل مصحفاً ..

عليه يقسم الجياع !

العشاء الأخير

بكائية :

أعطني القدرة حتى ابتسم ..
عندما ينغرس الخنجر في صدر المرء
ويدب الموت ، كالقنفذ ، في ظل الجدار
حاملاً مبخرة الرعب لأحداق الصغار .
أعطني القدرة .. حتى لا أموت .
منهك قلبي من الطرق على كل البيوت
علني في أعين الموتى أرى ظل ندم !

فأرى الصمت .. كعصفورٍ صغير
ينقر العينين والقلب ، ويعوى ..
في ثنايا كل فم !

- ١ -

« الرياح » اختبأت في القيو ؛ حتى تستريح ..
.. فيه من أرجحة الأجساد فوق المشنقة .

ووقفنا نحرس الباب ، ونحمي الأزقة
بيننا خيل الممالك تدق الأرض بالخطو الجموح
يقتفون الأثرا

يسألون الدرب عن خطوة ريج فيه ؛ عن أية ريج !
فنفض البصرا !

ومضوا ، والسنبك المجنون يهوى ، فيصب الشررا
وتواروا في الخواري الضيقة .

.. نحن عدنا نحمل البشرية لها
وهتفنا باسمها

وهزنا كتفيها ، عبثا ..

وتدلت رأسها في راحتينا .. ميتة !

نحن كنا نحرس الباب ، ونحمي .. اللافتة
وهي — تعويدتنا — لم نحماها !

- ٢ -

الخيوّل المسرجة . !

صهلت ، لكن هل الفرمان فرسان كما كانوا .. غدا ؟
والمهاميز التي تحملها الأقدام .. غاصت في القلوب !

وسيوّف ثلثت ..

فقد استأجرها النحاس .. تحمي هودجه !

وسيوف قنعت أن تتدلى عند الاستعراض .. زينة !
وجمائل ..

حملتها في دياجى الليل أضلاعُ المقاصل
ودقنا نبلها المقهور في عام البكاء .

.. شبحُ الفرسان ما زال على وجه المدينة

صامتاً يأتي إذا جاء المساء

صامتاً ينفذ أطراف الرداء

ويمد الجسدا ..

فيمد الخوف في الليل يدا !

ثم يمضى ، يحمل الأكفان ، يسرى في الدروب

يحمل الأكفان أثواب ركوب !

والمهاميز التي تحملها الأقوام .. غاصت في القلوب !

- ٣ -

التحيات « مساء الموت » ياقلبي

فلا تلق التحية

— من ترى مات ؟

— أنا ..

— أنت !

— أجل .

— أنت لا تملك يوماً أن تموت .

— الحماماتُ لوثُ أعناقها ..

والتوى حتى لساني بالرطان

— أنت لا تعرف من أنت ..

— أنا :

منذ أن مات ألى ..

كل من تعشقه ألى الثرىة ..

كل من تعشقه ألى : أب لى فى العماد !

— ربما « أحمس » ربته امرأة .

— .. ذهبُ الشمس العجوز انصهرا

وهوى فوق نفايات الثرى

وأنا أبكى على تل الرماد !

يفتح المخلبُ أجفان العيون

لترى .. لكن ترى ماذا ترى ؟

(ساعة الحائط في معبد « هاتور » .. انتهت دقائقها

وانتهت « طروادة » البكر .. على وهم الحصان !)

— .. أنا « أوزوريس » صافحت القمر

كنت ضيفاً ومضيفاً فى التويحه

حين أجلسُ لرأس المائدة

وأحاط الحرسُ الأسود بى

عندما يتلعب (الكورنيش) أضواء الغروب
تسعل الظلمة فيه والبرودة
يحمل الجوع إلى العار .. وليده
كلمات ..

ثم تنسل من البرد .. لدفع العربات .
والمصاييح : شظايا قمر .. كان يضيء
حطمته قبضة الطاووس فوق الطرقات
ثم أهدته إلى النسوة .. كى يصلبته فوق الصدور .
يتباهين به .. وهو رفات !
كلمات .. كلمات ..

ثم تنسل من البرد لدفع العربات .
وأنا « يوسف » محبوب « زليخا »
عندما جئت إلى قصر العزيز
لم أكن أملك إلا .. قمرا
(قمراً كان لقلبي مدفاة)
ولكم جاهدت كى أخفيه عن أعين الحراس ،

فطلعت إلى وجه أخى ..
فتفاضت عينه .. مرتعدة !
أنا أوزوريس ، واسيت القمر
وتصفحت الوجوه ..

وتنبأت بما كان . وما سوف يكون ؟
فكسرت الخبز ، حين امتلأت كأسى من الخمر القديمة
قلت : يا اخوة ، هذا جسدى .. فالتهموه
ودمى هذا حلال .. فاجرعه !
خبياً المصباح عينيه .. بأهداب جناحيه ..
لكى تخفى الجريمة
وتشئ الضوء من حد الخناجر !

— ربما أحيالك يوماً دمع « ايزيس » المقدس
غير أنا لم نعد ننجب ايزيس جديدة
لم نعد نصغى الى صوت النشيج
ثقلت آذاننا منذ غرقنا في الضجيج
لم نعد نسمع إلا .. الطلقات !
(يفرض الرعب الطمأنينة في ظل المسدس ..)
— الطمأنينة في ظل الحداد !?
— سيدى .. نحن انزلقنا من ظهور الأمهات
بيد تصغط ثقب الجرح ،

ربما نُورٌ في الظلمة برهة .
غير أني كنتُ جائع
وأنا الآن فقدتُ القمرًا .

.....

جائع يا قلبي المعروض في سوق الرياء
جائع .. حتى العياء
ما الذي آكله الآن إذن ..
كفى لا أموت ؟

(ديسمبر ١٩٦٣)

عن كلِّ العيون الصدئة
.. كان في الليل يضيء !
حملوني معه للسجن حتى أطفئه
تركوني جائعاً بضع ليال ..
تركوني جائعاً ..

فتراءى القمرُ الشاحب — في كفتي — كعكّة !
وإلى الآن .. بحلقتي ما تزال ..
قطعةً من حزنه الأشيب .. تُدميني كشوكة !

• • •

أعطني القدرةَ حتى أبتمم ..
فشعاع الشمس يهوى كخيوط العنكبوت
والقناديل تموت
قدمي تلتمس السلّمة الأولى لكي أصدد فوقاً
ويدى تلتمس الحاجز إذ أخشى السقوط
كيف أبقى ؟
عفن الموتى ؟ وأطياب الخنوط
نكهة تكسو فناء البيت ، تسرى في دمي عرقاً فعرقاً .
.. منهكٌ قلبي من الظلمة ، إنى لا أرى
آه لو لم ألتمهه — القمر الشاحب — لو ..

حديث خاص مع ابي موسى الأشعري

[حاذيت خطو الله ، لا أمامه ، لا خلفه ...]

- ١ -

.. إطار سيارته ملوث بالدم !

سار .. ولم يهتم !!

كنتُ أنا المشاهد الوحيد

لكنني .. فرشتُ فوق الجسد الملقى جريدتي اليومية

و حين أقبل الرجال من بعيد ..

مزقت هذا الرقم المكتوب في ورقية مطوية

وسرْتُ عنهم .. ما فتحتُ القم !!

ooo

(حاربْتُ في حربهما)

وعندما رأيتُ كلاً منهما .. متَّهما

خلعتُ كلاً منهما !

كفى يسترد المؤمنون الرأى والبيعة

.. لكنهم لم يدركوا الخدعة !)

ooo

حين دلفْتُ داخل المقهى

جرَدني النادلُ من ثيابي

جرَدته بنظرة ارتياب

بادلته الكُرْها !

لكنني منحتُه القرشَ : فزَيَّن الوجها ..

ببِسْمِي .. كلبِيَّة .. بلْها ..

ثم رسمتُ وجهه الجديد .. فوق علبَةِ الثقباب !

- ٢ -

رأيتُهم ينحدرون في طريق النهر ..

لكي يشاهدوا عروسَ النيل - عند الموت - في جَلوتها

الأخيرة

وانخرطوا في الصلوات والبيكآت .

وجئتُ .. بعد أن تلاشت الفقايعُ ، وعادت الزوارقُ

الصغيرة

رأيتُهم في حلقاتِ البيع والشراء

يقايضون الحزنَ بالشواء !

.. تقول لي الأسماكُ

تقول لي عيونُها الميتة القريرة :

ان طعامها الأخير .. كان لحمًا بشرياً ..

قبل أن تحرفها الشباك !

يقول لى الماء الحبيسُ فى زجاج الدورق اللماغ
ان كلينا .. يتبادلان الابتلاغ !

تقول لى تحتيطه التمساح فوق باب المنزل المقابل
إن عظام طفلة .. كانت فراش نومه فى القاع !!

(خلعتُ خاتمى .. وسيدى .

فهل تُرى أحصي لك الشاماتِ فى يدى
لتعرفينى حين تُقبلين فى غد

وتغسلين جسدى

من رغوات الزيد !؟)

فى ليلة الوفاء ..

رأيتها — فيما يرى النائم — مهرة كسلى

يسرجها الخوذى فى مركبة الكراء

يهوى عليها بالسياط ، وهى لا تشكو .. ولا تسيّر !

وعندما ثرتُ .. وأغلظتُ له القولا ..

دارت برأسها ..

دارت بعينها الجميلتين ..

رأيتُ فى العينين : زهرتين

تنتظران قبلة . من نخلة هيض جناحها .. فلم تُعد تطير !

.. رأيتها — فيما يرى النائم — طفلة .. حيلى !

رأيتها .. ظلا !

وفى الصباح : حينما شاهدتها مشدودة إلى الشراغ

ابتسمت ، ولوحت لى بالذراع

لكننى : عثرتُ فى سبرى !

رأيتى .. غيرى !

وعندما نهضتُ : أقيتُ عليها نظرة الوداع

كأننى لم أرها قبلا !

فأطرقَت حجلى ..

ولم تقل لى رأيتها .. ليلا !

- ٣ -

خرجتُ فى الصباح .. لم أحمل سوى سجائرى

دسستها فى جيب رقى الرمادية

فهى الوحيدة التى تمنحنى الحب .. بلا مقابل !

رؤيا :

(ويكون عام .. فيه محترف السنابل والضروع
تنمو جوافرنا - مع اللعنات - من ظمياً وجوع
يتزاحف الأطفال في لعق الثرى !
ينمو صديده الصمغ في الأفواه ،

في هدب العيون .. فلا ترى !
تنساقط الأقراط من أذان عذراوات مصر !
ويموت ثدى الأم .. تنهض في الكرى
تطهو - على نيرانها - الصفايل الرضيع !!)

حاذيت خطو الله ؛ لا أمامه .. ولا خلفه
عرفت أن كلمتي أثقت ..
من أن تنال سيفه أو ذهبه .

(حين رأث عيناى ما تحت الثياب : لم يعد يثرى !)
قلبت - حيناً - وجهي العملة
حتى إذا ما انقضت المهلة

ألقىتها في البر .. دون جلبة !
وهكذا .. فقدت حتى حلمه وغضبه .

(عيناك : لحظنا شروق
أرشف قهوتى الصباحية من بينهما المحروق

وأقرأ الطالع !

وفي سكون المغرب الوادع
عيناك ، يا حبيبتى ، شجرتا برفوق
تجلس في ظلهما الشمس ، وترفو ثوبها المفتوق
عن فخذها الناصع !)

- ٤ -

.. وستبهطين على الجموع
وترفرقين .. فلا تراك عيوئهم .. حلف الدموع
تتوقفين على السيوف الواقفة
تتسمعين الهمهمات الواجفة
وسترحلين بلا رجوع !

.....

ويكون جوع !
ويكون جوع !

(مارس ١٩٦٧)

من مذكرات المتبى

(في مصر)

• • أكره لون الخمر في القنينة
لكننى أدمتها .. استشفاء .
لانى منذ أتيت هذه المدينة
وصرتُ في القصور بيغاء :
عرفتُ فيها الداء !

• • أمثل ساعة الضحى بين يدى كافور
ليظمن قلبه ؛ فما يزال طيره المأسور
لا يترك السجن ولا يطير !
أبصر تلك الشفة المثقوبة
ووجهه المسودّ ، والرجولة المسلوبة
.. أبكى على العروبة !

• • يومئذ ؛ يستشدنى : أنشده عن سيفه الشجاع
وسيفه في غمده .. يأكله الصدا !
وعندما يسقط جفناه الثقيلان ؛ وينكفى .
أسير مثقل الخطى في ردهات القصر

أبصر أهل مصر ..

ينتظرونه .. ليرفعوا إليه المظلمات والرقاع !

.. جاريتى من حلب ، تسألنى « متى نعود ؟ »

قلت : الجنود يملأون نقاط الحدود

ما بيننا وبين سيف الدولة .

قالت : سئمت من مصر ، ومن رخاوة الركود

فقلت : قد سئمت — مثلك — القيام والقعود

بين يدى أميرها الأبهة .

لعنت كافورا

وغئت مقهورا ..

• • « حَوْلَةٌ » تلك البدوية الشموس

لقيتها بالقرب من « أريحا »

سويةً ، ثم افرقنا دون أن نبوحا

لكنها كل مساءً في خواطرى تجوس

يفترُّ بالشوق وبالعتاب تُغرُّها العبوس

أشم وجهها الصبوحا

أضم صدرها الجموحا !

... ..

سألت عنها القادمين في القوافل

فأخبروني أنها ظلت بسيفها تقاتل ..
في الليل تجاز الرقيق عن خبايها
حين أغاروا ، ثم غادروا شقيقها ذبيحا
والأب عاجزا كسيحا

واختطفوها ، بينا الجيران يرنون من المنازل
يرتعدون جسدا وروحا
لا يجبرؤون أن يغيشوا سيفها الطريحا !
... ..

(ساءلنى كافور عن حزنى

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة
شريدة .. كالقطة

تصيح « كافوراه .. كافوراه .. »
فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية
تُجلد كى تصيح « واروماه .. واروماه .. »
.. لكى يكون العين بالعين
والسنُّ بالسنِّ !

° ° في الليل ؛ في حضرة كافور ؛ أصابنى السأم
في جلستى نمت .. ولم أتم
حلمت لحظة بكا

وجندك الشجعان يهتفون : سيف الدولة .
وأنت شمس تختفى في هالة الغبار عند الجولة
ممتطياً جوادك الأشهب ، شاهراً حسامك الطويل المهلكا
تصرخ في وجه جنود الروم
بصيحة الحرب ، فتسقط العيون في الخلقوم !
تخوض ، لا تبقى لهم إلى النجاة مسلكا
تهوى ، فلا غير الدماء والبكا
ثم تعود باسمأ .. ومنهكا

والصبية الصغار يهتفون في حلب :

« يا منقذ العرب »
« يا منقذ العرب »

حين تعود .. باسمأ .. ومنهكا
حلمت لحظة بكا
حين غفوت
لكننى حين صحوت :

وجدت هذا السيد الرخوا
تصدر البهوا

يقص في ندمانة عن سيفه الصارم
وسيفه في غمده يأكله الصدا !
وعندما يسقط جفناه الثقيلان ، وينكفى ..

تعلیق علی ما حدث

یتسم الخادم .. !

.. تسألنی جاریتی أن أکتری للبيت حرّاسا

فقد طغى اللصوص في مصر .. بلا رادع

فقلت : هذا سيفی القاطع

ضعیه خلف الباب . متراسا !

(ما حاجتی للسيف مشهورا

ما دمت قد جاورت كافورا ؟)

.. « عيدٌ بأية حال عدت يا عيدٌ ؟

بما مضى ؟ أم لأرضی فيك تهويد ؟

« نامت نواظير مصر » عن عساكرها

وحاربت بدلاً منها الأناشيد !

ناديت : يا نيل هل تجرى المياه دماً

لكي تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟

« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

(حزيران ١٩٦٨)

في انتظار السيف !

وردة في عروة السرة :

ماذا تلدين الآن ؟

طفلاً .. أم جريمة ؟

أم تنوحين على بؤابة القدس القديمة ؟

عادت الخيل من المشرق ،

عاد (الحسنُ الأعصمُ) والموتُ المغيرُ

بالرداءِ الأرجواني ، وبالوجه اللصوصي ،

وبالسيف الأجيرُ

فانظري تمثاله الواقف في الميدان ..

(يهتزُّ مع الريح . !)

انظري من فرجة الشباك :

أيدي صبيّة مقطوعة ..

مرفوعة .. فوق السنان

(.. مُزديفاً زوجته الحُبلى على ظهر الحصان)

أنظري خيطَ الدم القاني على الأرض :

« هنا مرَّ .. هنا »

هذا قدرُ المهزوم :

لا أرضَ .. ولا مالَ .

ولا بيتَ يردُّ البابَ فيه ..

دون أن يطرقه جابٍ ..

وجندى رأى زوجته الحسناءَ في البيتِ المقابلِ (

أنظري أمتك الأولى العظيمة

أصبحت : شرذمةً من جثثِ القتلى ،

وشحاذين يستجدون عطفَ السيفِ ،

والمالَ الذى يئثره الغازى ..

فيَهوى ما تبقى من رجالٍ ..

وأرومة .

أنظري ..

لا تفرعى من جرعةِ الخزى ،

انظري ..

حتى تقيى ما بأحشائك ..

من دفءِ الأمومة .

° ° °

تُفقرُ الأسواقُ يومين ..

وتعتاد على « النقدِ » الجديدِ

فانفقات تحت تحطى الجند ..

عيونُ الماءِ ،

واستلقت على التربة .. قاماتُ السنايل .

آه .. ها نحن جياغُ الأرضِ نصطفُ ..

لكى يُلقى لنا عهدَ الأمانِ .

ينقش السكةَ باسمِ المَلِكِ الغالبِ ،

يُلقى خطبةَ الجمعةِ باسمِ المَلِكِ الغالبِ ،

يرقى منبرَ المسجدِ ..

بالسيفِ الذى يبقُرُ أحشاءَ الحواملِ .

° ° °

تلدين الآنَ مَنْ يحبو ..

فلا تسنده الأيدي ،

ومن يمشي .. فلا يرفع عينيه إلى الناسِ ،

ومن يحطفه النحاسُ :

قد يصبح مملوكاً يلوطنون به فى القصرِ ،

يُلقون به فى ساحةِ الحربِ ..

لقاءَ النصرِ ،

فقرات من كتاب الموت

- ١ -

كلّ صباح ..
أفتح الصنبورَ في إرهاق
مغتسلاً في مائه الرقراق
يسقط الماء على يدي .. دَمًا !
... ..
وعندما ..
أجلس للطعام .. مُرغما :
أبصر في دوائر الأطباق
جماجما ..
جماجما ..
مفغورة الأفواه والأحداق !!

- ٢ -

أحفظ رأسي في الخزائن الحديدية

تشتكي الأضلاعُ يومين ..
وتعتاد على السوط الجديد
يسكت المدياعُ يومين ..
ويعتاد على الصوت الجديد
وأنا منتظرٌ .. جنب فراشك
جالسٌ أرقب في حمى ارتعاشك -
صرخة الطفل الذي يفتح عينيه ..
على مرأى الجنود !

(يوليو ١٩٧٠)

وعندما أبدأ رحلتى النهارية

أحمل فى مكانها .. مدياعا !

(أنشر حولى البيانات الحماسية .. والصداعا)

وبعد أن أعود فى ختام جولتى المسائية

أحمل فى مكان رأسى الحقيقية :

.. قينة الخمر الزجاجية !

- ٣ -

أعودُ مخموراً إلى بيتى ..

فى الليل الأخير

يوقضى الشرطى فى الشارع .. للشبهة

يوقضى .. برهة !

وبعد أن أرسنوه .. أوصل المسير !

... ..
توقفنى المرأة ..

فى استنادها المثير

على عمود الضوء :

(كانت مصلقات « الفتح » و « الجبهة » ..

تملاً خلف ظهرها العمودا !)

١٩٨

تسألنى لفاقة :

(لم يترك الشرطى ..

واحدة من تبغها الليلي

تسألنى إن كنت أمضى ليلتى .. وحيدا

وعندما أرفع وجهى نحوها ::

سعيدا

أبصر خلف ظهرها : شهيدا

معلقا على الحائط ، ناصع الجبهة

تغوص عيناه .. كمنصليين رصاصيين

أصرخ من رهافة الحدين

.. أمضى بلا وجهة !!

- ٤ -

فاجأنى الخريف فى نيسان

وطائر السمّان ..

حطّ على شواطئ البحر الشمالية

طلبت من تحبّه نفسى .. قبيل النوم

فلم أجد .. إلا عذاب الصوم

طلبتُ من تحيُّه نفسي
(في الظل والشمس)
فلم أجد .. نفسي !!

... ..

وها أنا خلف النوافذ الزجاجية
أرقبُ عند المغرب الشاحب :
طائري الغائب !

(١٩٦٩)

الحداد يليق بقطر الندى

جوقة :

قَطْرُ الندى .. يا خال
مُهَرَّبَ بلا حَيَال

... ..

قَطْرُ الندى .. يا عين
أَمِيرَةُ الوجوهين

.. ..

صوت :

كان (حمارويه) راقداً على بحيرة الزئبق
وكانت المغنيات والبنات الحور
يطآن فوق الميسك والكافور .
والفقراء والدرائش أمام قصره المعلق
ينتظرون الذهب المبدور
ينتظرون حفنة صغيرة .. من ثور .

جوقة :

قطر الندى .. يا عين

أميرة الوجهين

..

قطر الندى ..

قطر الندى ..

صوت:

هودجها يخترق الصحراء

تسيقه الأنبياء .

أمامها الفرسان ألف ألف

وخلفها الحصيان ألف ألف

تعبر في سيناء ..

جوقة :

قطر الندى .. يا ليل

تسقط تحت الخيل

..

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

..

(استمرار) :

تعبر في سيناء

تعبر في مضارب البدو ، وفي نضوب الماء

عند انتصاف الصيف .

تحلم بالوصول للأردن ..

ترخي أعتة الخيول حول مائه ..

تغسل وجه الحزن

جوقة :

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

قطر الندى ..

قطر الندى ..

الصوت والجوقة :

.. كان (حمارويه) راقداً على بحيرة الزئبق

في نومة القيلولة .

فمن ترى ينقذ هذه الأميرة المغلولة ؟

من يا ترى ينقدها ؟

من ياترى ينقذها ؟

بالسيف ..

أو .. بالحيلة ؟

(١٩٦٩)

صفحات من كتاب الصيف والشتاء

١ - حمامة

حين سَرَّتْ في الشارع الضوضاء
واندَفَعَتْ سيارةً مجنونة السائق
تطلق صوتَ بُوقها الزاعقِ
في كبد الأشياء :
تَفَزَّعَتْ حمامةٌ بيضاء
(كانت على تمثال نهضة مصر ..
تَحَلَّمُ في استرخاء)

.. .. .

طارث ، وحطَّت فوق قُبَّةِ الجامعة النحاسِ
لاهتة ، تلتقط الأنفاسِ
وفجأةً : دندنت الساعة
ودقت الأجراسِ
فحلقت في الأفق .. مُرتاعة !

.. .. .

وعندما رأى كتاب (الحرب والسلام)
بين يدي : اربد وجهه ..
ورف جفنه .. رفة

فغالب الرجفة
وقص عن صبيّة طارحها الغرام
وكان عائداً من الحرب .. بلا وسام
فلم تُطق .. ضعفه
ولم يجذ — حين صحا — إلا بقايا الخمر والطعام !
.. .. .

ثم روى حكاية عن الدم الحرام
(.. الصحراء لم تُطق رشفة ..
فظل فيها ، يشتكى رسعه صيفه ..)

وظل يروي القصص الحزينة الحثام
حتى تلاشى وجهه
في سحِب الدخان والكلام
وعندما تحسّرَج الصوتُ به ، وطالت الوقفة
أدرت رأسي عنه ..
حتى لا أرى دمعته العفة
ومن خلايا جسدي : تفصّد الحزن ..

أيها الحمامة التي استقرت
فوق رأس الجسر

(وعندما أدار شرطى المرور يده ..
ظننته ناظوراً .. يصدّ الطير
فامتلاّت رعباً !)
أيها الحمامة التبعي :
دورى على قباب هذه المدينة الحزينة
وأنشدى للموت فيها .. والأسى .. والذعر
حتى نرى عند قلوب الفجر
جناحك الملقى ..

على قاعدة التمثال في المدينة
.. وتعرفين راحة السكينة !

٢ - ساق صناعية

في الفندق الذي نزلت فيه قبل عام
شاركني الغرفة
فأغلق الشرفة
وعلق (السترة) فوق المشجب المقام

وبلّ المسام

.. ..

وحين ظنّ أنني أنام
رأيتهُ يتخلع ساقه الصناعيّة في الظلام
مُصعّداً تنهيدةً ..
قد أحرقت جوفه

٣ - شتاء عاصف

كان (تراؤم الرّمْل) ..
متّبعاً ، كأمراة في أخريات الحمل
وكنت في الشارع
أرى شتاء (الغضب الساطع)
يكسح الأوراق والمعاطفا
وكانت الأحجار فد سكونها الناصغ
مغسولة بالمطر الذي توقفا
وكان في المذباغ
أغنية حزينة الإيقاع
عن (ظالم لاقيت منه ما كفى ..)
قد (علّموه كيف يجفّو .. فجفا)

٢٠٨

جلست فوق الشاطئ اليابس

وكان موج البحر
يصفع خدّ الصخر
وينطوي - حيناً - أمام وجهه العابس .
.. وترجع الأمواج
تنطحه برأسها المُهْتَاج
ودون أن تكفّ عن صراعها اليائس .. !
ودون أن تكفّ عن صراعها اليائس .. !

مارس ١٩٦٩

٢٠٩

تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات

- ١ -

قلْتُ لكم مرارا

إن الطوايير التي تمر ..

في استعراض عيد الفطر والجلاء .

(فتتفح النساءُ في النوافذ انهارا)

لا تصنع انتصارا .

إن المدافع التي تصطف على الحدود ، في الصحارى

لا تطلق النيران .. إلا حين تستدير للوراء .

إن الرصاصَ التي ندفع فيها .. ثمن الكسرة والدواء :

لا تقتل الأعداء

لكنها تقتلنا .. إذا رفعنا صوتنا جهارا

تقتلنا ، وتقتل الصغار !

- ٢ -

قلْتُ لكم في السنة البعيدة

عن حُطَرِ الجنديِّ

عن قلبه الأعمى ، وعن همته القعيدة

بحرس من يمنحه راتبه الشهريِّ

وزيِّه الرسمىِّ

ليهربَ الخصومَ بالجمعجةِ الجوفاءِ

والقعقعةِ الشديدةِ

لكنه .. إن يحن الموت ..

فداء الوطن المقهور والعقيدة :

فرُّ من الميدانِ

وحاصرَ السلطانِ

واغتصَبَ الكرسىِّ

وأعلن « الثورة » في المذيع والجريدة !

- ٣ -

قلْتُ لكم كثيرا

إن كان لابدَّ من هذه الذريةِ اللعينةِ

فليسكنوا الخنادقَ الحصينةِ

(متخذين من مخافر الحدود .. دُورا)

لو دخل الواحدُ منهم هذه المدينة :

فتح المذباغ .. واستلقى !
 وكان القدح الساخن ..
 في وحدته المستغرقة .
 (.. يدخل الطيف الذى يهبط .. بغتة)
 يسكت المذباغ .. سكتة ...)
 - (موجز الانباء) ..

.. ألتقت يده السيجارة المحترقة
 صرّت النافذة المنغلقة

 (.. يعبر الغرفة :
 فوق الحائط الأزرق .. صورة
 ظلّ يجلو تحتها خنجره .. مبتسما)

 مدّ ساقيه ،
 وكان الرعب فى عينيه ..

يدخلها .. حسيرا
 يلقي سلاحه .. على أبوابها الأمانة
 لأنه .. لا يستقيم مرخ الطفل ..
 وحكمة الأب الرزينة
 مع المُسدس المدلّى من حزام الخصر ..
 فى السوق ..
 وفى مجالس الشورى

• • •

قلت لكم ..
 لكنكم ..
 لم تسمعوا هذا العبث
 ففاضت النار على الخيماث
 وفاضت .. الجثث !
 وفاضت الخوذات والمدرعات

(ستمبر ١٩٧٠)

صار الصوتُ والموتُ

عدواً واحداً

منقسماً !

- من ذلك الهائمُ في البريةِ ؟

ينام تحت الشجرِ الملتفِ والقناطرِ الخيريةِ ؟

- مولاي : هذا النيلُ ..

- أين تُرى يعملُ .. أو يقيمُ ؟

- مولاي :

كنا صبيّةً نندسُ في ثيابه الصيفيةِ

فكيف لا تُذكرُهُ ؟

وهو الذي يُذكرُ في المذيعِ والقصائدِ الشعريةِ ؟

- هل كان قائداً ؟

- مولاي : ليس قائداً .

لكننا السياحُ في مطالعِ الأعوامِ

يأتون كى يروه ..

- أه .. ويصوّرونه لكي يُشهرُوا بنا

بوجهه الباكي .. وكوفيتهِ القطنيةِ

.. تعالُ كى نودعه في ملجأِ الأيتامِ .

- مولاي :

هكذا تحبُّه الصبايا .. والرعاةُ .. والأغنامِ

• • •

ظل في مقعده ..

سار الترام

وهو في مقعده ..

كلَّتْ يدا بائعةِ الخبزِ الصغيرةِ

وهو في مقعده ..

كفَّ فحيحُ الصمتِ في المذيعِ ،

وانساب « السلام »

وهو في مقعده ..

- (موجزُ أنباءِ الصباحِ)

وهو في مقعده ..

..

في يدهِ سيجارةٌ ملتصقةٌ

وعلى الجائيطِ .. صورةٌ !!

شهادة الميلاد .. والتطعيم .. والتأجيل
والوطن الأصلي .. والجنسية
.. حتى يمارس الحرية !

- ٣ -

.. ويُلقي المعلم مقطوعةً الدرس ،
في نصف ساعة :

(ستبقى السنابل ..

وتبقى اليباليل ..

تغرّد في أرضنا .. في وداعة ..)

ويكتب كل الصغار بصدق وطاعة :

(ستبقى القنابل ..

وتبقى الرسائل ..

تُبلّغها أهلنا .. في بريد الإذاعة)

(١٩٧٠)

وأُمّ كلثوم تغنى له ..
في وصلتها الشهرية !
- النيل !

أين يا تُرى سمعتُ عنه قبل اليوم ؟!
أليس ذلك الذي ..

كان يضاجعُ العذارى ؟!

ويحب الدم ؟!

- مولاي : قد تساقطت أسنانه في الفم

ولم يُعُدَّ يقوى على الحب .. أو الفروسية

- لا بد أن يبرز لي أوراقه الشخصية

فهو صموت !

يصادق الرعاغ ..

يهبط القرى ..

ويدخل البيوت ..

ويحمل العشاق في الزوارق الليلية

- مولاي ؟ هذا النيل .. !!

- لا شأن لي بنيلك المُشرّد المجهول

أريد أن يبرز لي أوراقه الرسمية :

يهتز قرطها الطويل ..
يراقص ارتعاش ظله ..
على تَلَفَاتِ العُنُقِ الجميل
وعندما تَلْفُظُ بذَرَّ الفاكهة
وتطفئُ التبغَ في المنفضة العتيقة الطراز
تقول عيناها : استرح !
والشفتان .. شوكتان !!

(تَبْقِينَ أَنْتِ : شَيْحاً يفصلُ بين الأخوين
وعندما يَفُورُ كأسُ الجعة المملوء ..
في يَدِ الكبير :

يقتلكِ المقتول مرتين !
أتأذنين لي بمعطفي
أخفي به ..
عورة هذا القبرِ الغارق في البحيرة
عورة هذا المتسول الأمير

الوقوف على قدم واحدة !

كادت تقول لي « مَنْ أَنْتِ ؟ »
..
(.. العقبُ الأسودُ كان يلدغُ الشمسَ ..
وعيناها الشهيَّتان تلمعان !)
— أَنْتِ ؟!

لكنى رددتُ بابَ وجهي .. واستكنث
(.. عرفتُ أنها ..
تنسى حزامَ حصرها .
في العريابِ الفارهة !

أسقطُ في أنيابِ اللحظاتِ الدنسة
أتشأغلُ بالرشفة من كُوبِ الصمتِ المكسور
بمطاردةِ قَرَّاشِ الوهمِ المخمور
أتلاشى في الخيطِ الواهنِ :
ما بين شُرُوعِ الخنجرِ .. والرقبة
ما بين القدمِ العارية وبين الصحراءِ الملتهبة

وهو يحاورُ الظلالَ من شجيرةٍ إلى شجيرةٍ
يطالعُ الكفَّ لعصفورٍ مُكسَّرٍ الساقين
يلقطُ حَبَّةَ العيينِ

لأنه صدَّقَ — ذاتَ ليلةٍ مَضَتْ —

عطاءً فمكَّ الصغيرُ ..

عطاءً حُلْمِكِ القصيرِ ..

رَبَاب

- ١ -

جلستنا الأولى : وعيناكِ المليتانِ بالفضولِ ..

تفتشانِ عن بدايةِ الحديثِ ،

وابتسامةِ حجولِ ..

في شفتيكِ العذبتينِ ، وارتباكنا يطولُ ..

في لحظاتِ الصمتِ والظلمِ .

تقرُّ فوقِ مسندِ المقعدِ

قلَّتْ ما يقالُ عن رداةِ الطقسِ ،

تسمُرتُ عيناى في استدارةِ الياقةِ

في معطفكِ الجميلِ .

وكان صوتكِ المعنَى يتحسسُ الطريقَ في شرايينى ،

ويمسحُ الصداً

وكنتُ ألوى في رباطِ عنقِى ،

أرْبُتْ ظهرَ قلقي ،

أمسحُ خيطَ القَرَقِ الضميرِ .

أمر : شرعاً في زجاجِ البابِ ،

بوس الزخرف المنقوش في مفارش الموائد ،
الوردة .. وهي تمنحني في الكوب ..
شفها الذبول .

..

ليلتها : عينك هاتان المليتان بالفضول
طاردتاني لحظةً بلحظةً ..

في دوران السلم الطويل
وفي سريري ظلنا تغنيان آخر الليل
وحين ضاق الصدر بالحنين .. وامتلاً
رفرفنا حولي

فقلت .. قلت لهما كل الذي أردت أن أقول ..

(.. كنا جارين طويلاً

وخليج عيون خضر ترسو فيه
أشرعه الشوق

قلبي ما كاد يشب عن الطوق
حتى أبخر في عينها الواسعتين ..
برحلته الأولى

.. لكنني أشهداها - الليلة - تنكيء عليه ..

كما كانت تنكيء علي !
شك في إصبعها خاتم الذهب
وتغر على جبهته بأناملها الرخصة .

..
هل تهجرني الأحزان ؟

وقد أشهد فانتني تستدفيء ..

في أحضان القرصان ؟

- ٢ -

كبح وجهك المضىء .. يا رباب
في مستطيل النور عندما يشع ..

في انفراج باب

في وهمج اللقافة الأخيرة

في لمعة المناقض المروقة

في لمسات اللوحة المعلقة

في تورية الفراش في السقف ،

وفي انغلاق الكتاب

في قوبان الثلج في الأكوام

في رثة الملاعق الصغيرة
في صمته المذيع برهة قصيرة
في ثنّيات الظل في الثياب
في غش النوافذ الصامت ..
بعد أن ينقشع الضباب .

• • •

(.. بالريح المقهورة
بالأمكنة المهجورة
بسنى الحب الغارب
بالقمر الشاحب
وبأعوامى الستة عشر
وبخصلة شجر :
أقسم ألا يسقط قلبي في ..
شرك الهدب الأسود .

ألا أفتح — يوماً هذا الباب الموصد !

- ٣ -

كيف ضعفت في نهاية المطاف ؟

وارنحت في عينيك من عبثي ؟
وكل شيء حولنا يُملئ علينا أن نخاف ؟!
.. لكنني أنزع قلبي من نعومة البدء
ومن ليونة الدفء ..
وأحتسى — كالسحفاة — بالغلاف !!

فصل من قصة حب

لها حقيبة مدلاة ، وشعر عَجْرى !

(عرفتُ عنها القصص الكثيرة :

على أريكة القطار ..

ضاجعها اثنان ،

وخلف سائر الغارات في الميدان .. في الظهيرة .

.. وضاجعتها امرأة على البلاج الذهبي

وجسمها الخارج من محارة البحر ..

مُنْدَى بالألء الصغيرة !)

• • •

حين التقينا : لم تسل من أنت ..

أو من أين ؟!

وقبلتني خلصة ونحن في المترو ..

إذا انفلتت من يديها

وهي في استغراقها !!

وصار بيتي بيتنا معاً ، وصار ..

أرجوحة وثيرة .

وصارت الألفة ثوباً واحداً

نلبسه تحت جلودنا

فلا يبلى ..

ولا يلحقه الغبار !

عارية — إلا من الحب — تروح ونحىء

يأتى غناؤها بصوتها الدافئ

وهي ترش الماء في الحمام ،

أو .. جالسة على الأريكة الأثيرة

وهي تُسوى شعرها ،

أو .. وهي عند الناز

تُعد فيها قهوة الإفطار

أو .. تمنح الرونق للأشياء

في لمستها الخبيرة

تكوى المناديل الحريئة .. والتنورة

أو تلمس الغبار حول صورة !

مُحاصرتهن .. واقفين !

وقبلتني وأنا أخرج مفتاحي ..

أمام غرفتي الفقيرة !

وقبلتني .. حالماً أغلقت الباب وراء ظهرها ..

لامعة العينين !!

• • •

لا نهدها (اليمامة التي تمهم بانطلاقها)

ولا انحسار الثوب فوق ساقها

هو الذي حاصرني في الجسد — الجزيرة .

لكنه .. شيء بها .. كأنه اليتيم ..

كأنه الفرار ..

ينوب ما بين ذراعى : فتهدأ السريرة

وتلتوى الأنامل البيضاء حول كيتفى ..

كأنما نحن : الغريق .. والحطام الحشيشي !

تمسك لى ..

في لحظة احتراقها ..

في لحظة التخلي عن عناقها !

تمسك لى ..

حتى مع استرخاءة النوم القصيرة

الهجرة الى الداخل

أترك كل شيء في مكانه :
الكتاب ، والقنبلة الموقوتة
وقدح القهوة ساخناً ،
وصيدلية المنزل ،
واسطوانة الغناء .
والباب مغفور الفم ،
.. الباب .. وعين القطعة الباقوتة .

أترك كل شيء في مكانه ،
وأعبر الشوارع الضوضاء
مخلفاً خلفي : زحام السوق ..

والنافورة الحمراء ..
والهياكل الصخرية المنحوتة

أخرج للصحراء !
أصبح كلباً دامى المخالب
أنبش حتى أجد الجنة ،

وها أنا بعد رحيلها المفاجيء
أعمى بلا بصيرة .
فتشت عنها كل حانات المدينة الكبيرة
وعرف الطلاب ..
والمستشفيات ..
والملاجيء ..
لكنني لم أر غير الوحشة المريرة
وذكرياتها المنثورة
في البيت ، في مكانها ..
تنتظر اليد الأميرة
تنتظر الحيط .. الذي ينظم اللآلئ .

• • •

— كأسك !

— حان موعد الاغلاق .

— لم تبق الا قطرة أخيرة .

— كأسك !

.. لن تعيدها الأشواق !!

حتى أقضم الموت الذى يدنس الترائب !
أدسُ في الحفرة وجهى الشرة المحموم
تصبحُ بوقاً مصمتاً حول فمى المنكفىء المزموم
وصارخاً في رحيم الأرض ..
أصبحُ : يا بساطَ البلد المهزوم ..
لا تسحبُ من تحت أقدامى ..
فتسقط الأشياء ..

من رفها الساكن في خزانة التاريخ ،
تسقط المسعيات والأسماء !

أصرخ .. ليس يصلُ الصوتُ
أصرخ .. لا يجيب إلا عرقُ التربة والسكون والموتُ
ويستديرُ حول رأسى الطنينُ ،
ويلومُ الهواءُ

أسقط واقفاً ..

وخائفاً .

أن يحملُ الصدى ندائى للهوائيات ..

فوق أسطح البيوت

أن تفضى الرمال صوتى المضىء ،

صوتى المكبوت !

أبكى إلى أن يستدير الدمع في الحفرة

أبكى .. إلى أن تهدأ الثورة

أبكى إلى أن ترسخ الحروف في ذاكرة التراب

أعود ضالاً ..

أتبعُ الأسلاك ، والدم الركام ،

والدم المنساب

أبحث عن مدينتى التى هجرتها ..

فلا أراها !

أبحث عن مدينتى :

يا إرم العماذ

يا إرم العماذ

يا بلد الأوغاد والأجاذ

رُدّى إلى : صفحة الكتاب

وقدح القهوة .. واضطجاعتى الحميمة

فيرجعُ الصدى ..

كأنه اسطوانة قديمة :

يا إرم العماذ

يا إرم العماذ

كنت لا أحمل إلا قلماً بين ضلوعى .
كنت لا أحمل إلا .. قلمي .
فى يدى : خمسُ مرايا
تعكس الضوء (الذى يسرى إليها من دمي)
.. طارقاً بابَ المدينة :
- « افتحوا الباب »

فما ردَّ الحرسُ
- « افتحوا الباب .. أنا أطلب ظلاً .. »
قبل : « كلاً »

..
أمطرى يا قبضة الزيد التي تُدعى سُحْبُ
أمطرى رغوتك الجوفاء فى كوب اللهب
هذه الأسوار ما رقت لدقاتي الحزينة
وشعاعُ القبة الفضية المساء يغل ..
فى مراياى الثمينة

رُدَى إليه : صهوة الجواد
وكتبَ السحر ..

وبعضُ الخبزِ فى زوادة السفر
فقلبه الذى انشطّر
يرقد فوق زهرة اللوتس فى المنفى ،
يطالع المكتوب
منتظراً حتى يفور الكوب
فى يده ،

يدير فوق جسمه رداءه المقلوب
لكي يعود فى مواسم الحصاد
أغنية .. أو ورْدَة
للباحثين عن طريق العودة !

آه لو أملك سيفاً للمصراع

آه لو أملك خمسين ذراع :

لتسلمت — بإيماني الهرقلي — مفاتيح المدينة

آه .. لكني بلا حتى .. مؤونة !

• • •

أيها العشب الذي ينضح حُمى

إننى أنشدُ في جنبيك .. حلما

(.. واستكانت شفة الوهج على وجهي طويلا ..)

ربما يُفتح هذا الباب يوما

أيها العشب الذي ينضح حُمى

شمسنا مطفأة العينين .. دوما !

يا طريق التلّ (حيث القبة الملساء تبدو ..

صنماً ضخماً تحدى المستحيلا)

يا طريق التلّ :

ما زالت على جنبيك آلاف النفايات ..

لسكان القباب المصمتة

من قمامات البقايا الميتة

وزجاجات محوٍ فارغة

وكلاب الغة

ورمايٍ ، وورق !

آه .. يا ذكرى الحنين المحترق

آه ، كم كئيباً — كما كنت — نرشُ التورّ والشوق النبيل

وتهدجنا غناءً ..

وتهدجنا بكاءً ..

وتهدجنا .. فُضولاً

ثم .. لم تلقَ من الحبّ عدا : باباً بخيلاً !!

- ٢ -

فرقعتُ في الصمت حولي عجلاتُ المركبة

- « أوقِف الخيل »

أطلتُ :

- « من ترى أنت ؟ »

فأومأتُ مجيباً

قالت : « اصعدُ »

— « آه يا ذوات العيون الطيبة

كل شيء ينتهز

كل شيء في دمي .. لا يتحدّد

أنا لا أملك حتى كلمات الشكر ..

حتى كلمات الشكر .. ولت !

— « أغريب ؟ »

قلت : ما عدت غريبا

بيتنا كان على ربوة نجمة

كم قرأنا فيه عن سحر لياليك كثيرا

عن جبين يهب العمر تهايد ورحمة

ورسمنا وجهك المعبود فوق المنزل

وعلى صدر الربيع المقبل

وتعشقناك : حزنا أرجوانيا أميرا

وتعشقناك : شعرا كستنائيا غريبا

وتعشقناك : ثوبا جدلته الحور ..

من زهو المطر

وعشقنا فيك : حتى تحفك المجلوب من وادي القمر !

قالت : « اهدأ ..

سوف تحكي لي هناك .. »

وأشارت نحو قصر القبة المساء ،

ثم استطرذت :

إنه مُلك أُنَى !

عندما كان (سليمان) وليا

لم يكن يملك هذا القصر ذا المليون باب

قيل مكتوب على جدرانه الماسية الزرقاء ..

أحلام شباب

قيل في الساحة نافورة خلذ

وعلى الباب نقوش أثرية .

آه .. يا حراسه .. هذا أنا !!

ارفعوا الأيدي وأدوا لى التحية

ارفعوا المزلاج .. فالركب يسير

« يد مولاي » ..

ومدت يها (بدر البدر)

نصعد السلم : يا معراج ما كنت نبيا !

أنا فى البللور حولى فى السنأ : ألف أنا

قامض يا معراجنا نحو الجنأخ

واعزفى يا جوفة الميلاذ لحن الإفتاح !

• • •

ربما تُنقق كلَّ العمرِ كى نُنقب ثغرة
ليمرَّ النورُ للأجيال .. مرَّة !

.. .. .

ربما لو لم يكن هذا الجدار :

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!)

- ٣ -

شَفَّةٌ ثلجِيَّةٌ في جبهتي تسرى .. مُلحَّةٌ

« قد أتى الصبحُ ... فقم »

شدَّني السيفُ من أشهى حُلُم

حاملًا أمرَ الأميرة

« أنا يا مسرورُ معشوقُ الأميرة

ليلةً واحدةً تُقضى .. بدِّم !؟

يا ترى من كان فينا شهريار !؟

أنا يا مسرورُ .. »

(مسرورُ على الباب : رخام)

« أنا يامسرورُ لم أسعد من الدنيا بفرحة

أنا لم أبلغ سوى عشرينَ عام

سكرت كاساتنا من مخر بابل

ألف خيط في دمانا .. يستبد

« آه يا سيدتي : أنتِ مَلَكٌ ..

أنا لأحمل إلا قلمًا بين ضلوعي ..

فخذي .. إنه أتمن ما عندى .. خذي »

ومشت راحتها فوق جيني ،

هتف لي : « شهريار »

« شهزادى : أسكى شَهْدَ الرحيق المتواصل

ثم قصي من حكاياك الجديدة

من زمان لم أَعُدْ أسمع أشياءَ جديدة

أسرى .. »

« ليك يا مولاي .. قالوا »

.. .. .

ثم لم نملك قوانا

وعلى الجدران لوحات فريدة

لرغيف .. وزجاجاتٍ من الخمر .. وراع ..

قطيع !

(آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق !

الضحك في دقيقة الحداد !

.. ووقفنا في العراء
بيقايَا أغمِدة .

انتظرنا ان يمرَّ الشعراء
ربما يمنحنا دفء الغناء

ربما .. ليلة حبّ واحدة .

وتنصّتنا لوقع الخطو ، غربلنا الهواء
لم يكن إلا .. سكون الصّحراء
وطنين الأفتدة !

• • •

عامٌ تحت الصّفير .. صفّر اليَد جاء
حين كنا في ضمير الليل روحاً مجهدة .
طرّق الباب ، ونادى في حياء

خذ ثيابي .. خذ مراياى المنيرة ..
— حسناً ، فاهرب من الباب الذى فى آخر الممشى
ولا ترجع هنا

يا طريق التلّ حيث القبة المساء .. خلفي
حيث مازالت على جنبيك آلاف النفايات ..
لسكان المدينة :

الكلاب الوالعة ..

وزجاجات الخمر الفارغة ..

وأنا .. أحمل أقدامى الحزينة !!

'فاستدرنا في فراش النوم ،

أَحْكَمْنَا الْعِطَاءَ

وتركناه هُبَّاتِ الرِّيحِ الْبَارِدَةِ .

• • •

كُنْتُ فِي الْمَقْهَى ، وَكَانَ الْبَيْغَاءُ

يَقْرَأُ الْأَنْبَاءَ فِي فِئْرَانِ حَقْلِ الْقَمْحِ ،

فَوْقَ الْقَرْدَةِ

وَهِيَ تَجْتَرُّ النَّرَاجِيلَ ، وَتَرْنُو لِلنِّسَاءِ .

.. .. .

(— رَفَعَ أُمْتَانِ جَمِيعَ الْأَسْمَدَةِ)

.. .. .

.. النَّسَاءُ الْقَطِطُ — الْأَفْرَاسُ — سِمَانُ الْعِشَاءِ

وَعِيُونَ الرِّغْبَةِ الْفِئْرَانُ تَبْتَلُ بِأَصْدَاءِ الْمَوَاءِ .

.. .. .

(— رَفَعَ سَعَرَ الصُّوْفِ ..)

.. .. ما من فائدة !

كَادَتْ السَّيَّارَةُ الْحَمْرَاءُ أَنْ تَقْصِمَ ظَهْرَ السَّيِّدَةِ

وَالنِّسَاءُ — الْقَطِطُ — الْأَزْيَاءُ يَخْلَعْنَ الرِّدَاءَ

.. .. .

(— نَائِرٌ يَقْتُلُ فِي ظَهْرَانِ بِالْأَمْسِ — رَئِيسَ الْوُزَرَاءِ)

.. .. .

رَقْعَةُ الشُّطْرَنِجِ : مَاتَ الشَّاهُ ، دَوْرُ الْأَبْتَدَاءِ ..

هَزَمَ الْأَبْيَضُ فِيهِ أَسْوَدَهُ

حِينَ كُنَّا فِي ضَمِيرِ اللَّيْلِ رُوحًا مَجْهَدَةً .

.. .. .

تَلْعَقُ الْفِئْرَانُ فِي الْجُحْرِ تَرَابَ الْإِشْتِهَاءِ

وَهِيَ تَجْتَرُّ النَّرَاجِيلَ ، وَتَرْنُو لِلنِّسَاءِ

النِّسَاءُ — الْقَطِطُ الْكَسَلِيُّ ،

.. .. .

.. (اشْتَبَاكَ عَسْكَرِيُّ فِي الْمَسَاءِ)

بِرَهَةٍ : تَرْتَفِعُ الْأَعْيُنُ عَنِ طَاوِلَةِ الزَّهْرِ وَمُوسِيقَى النَّسَاءِ

تَبْرِقُ النَّظْرَةُ مِنْ تَحْتِ الْجَفْوَنِ الْخَالِدَةِ

.. .. .

(مَجْلِسُ الْأَمْنِ يُوَالِي ..)

.. ويعود الإجماع

تجلس العينُ على نقش البلاطِ القرفصاءُ
ثم تنسأه ، وتطويها فتونُ العريضة !!
قال لى :

« ها هو بهو الأعمدة »

.. ..

من هنا مرّت خيولُ الخيلاء
من هنا مرّت .. فلم يُدفن لها قتلى ،
ولم تُحقن دماء .

حطّت الحدأة فوق المائدة
رفع النسْرُ عن الشمس . يَدَه
فهوّت ، والأرضُ غطّأها الوباءُ .

.. ..

نقشةُ الجدرانِ في قلبي ،

وفي عيني الرمالُ الراقدةُ

الرمالُ الرابضاتُ — اليومَ — من حول البناءِ
الرمالُ — الندمُ الحارقُ لى خبزِ وماء .
يا بقايا المومياء :

نحن أسبلنا العيونَ الرميّةُ

حين أنكرناك قبل الفجرِ ..

(والفجرُ إلى اللحظة لم يأتِ ،)
وجاء ..

بدلاً منه : الوباءُ ،

كلما استشرقتِ النظرةُ أفقَ النور : شمّت جسده
فتراحت .. مُقعّدة ،

وانتظرنا الصيفُ في فصل الشتاء

واغتسلنا ننشُدُ البرءَ نهارَ الأربعاء

ودعونا الله أن يكشف عنا الثمّة المنعقدة :

أعطنا ليلة حب واحدة

أعطنا ليلة طهر واحدة

أعطنا ليلة صدق واحدة

وتسّمنا صدى الدعوة ، غربلنا الهواء

لم يكن إلا .. الوباء

جرباً تحت الجلود :

الظفرُ لا يجدى ..

ولا يجدى الدواء !

جربُ أوغل . حتى الأفئدة !!

° ° °

لا تلوميني .. إذا الطوفانُ جاء

... ..

(١٩٦٦)

ووقفنا في العراء

ببقايا أعمدة ..

وتلفّتنا ، فأبصرنا عظامَ الشهداء

تتلوّى في رمالِ الصحراء

تقصد النيل .. لكى يمنحها جرعة ماء

فسقاها .. كمّمه !

ورأينا في مرايا مائه أوجهنا ..

كنا عراة تعساء

خلفنا يصطكُ بابُ المصيصة .

.. والشفاهُ المرغياتُ المزبدة .

تبارى في الهتافاتِ ،

تدقُّ المنضدةُ

ثم تنسلُّ اذا انفضَّ البكاء

تتلهى بالصدورِ الناهدةُ

في حوائتِ الشواءِ ،

.. ..

.. ..

يا عصافير الشتاء :

(بيان)

أيها السادة : لم يبقَ اختيارٌ
سقط المَهْرُ من الإعياءِ ،
وانحَلَّتْ سيورُ العَرَبَةِ
ضاقَتِ الدائرةُ السوداءُ حولَ الرقبةِ
صدرنا يلمسه السيفُ ،
وفي الظهرِ : الجدار !

..

أيها السادة : لم يبقَ انتظارٌ
قد منعنا جزيئة الصميتِ لملوكِ وغبَدِ
وقَطَعْنَا شعرةَ الوالى « ابنِ هندِ »
ليس ما نخسره الآن ..

سوى الرحلةِ من مقهى إلى مقهى ..
ومن عارٍ .. لَعَارٍ !!

على محطات القُرى ..

ترسو قطاراتُ السهَادِ
فتنتلوي أجنحةُ الغبارِ فى استرخاءةِ الدُنُو
والنسوةُ المتشحاتُ بالسوادِ
تحت المصاييحِ ، على أرصفةِ الرسو
ذابت عيونهن فى التحديقِ والرئو
علَّ وجوه الغائبين منذ أعوام الحدادِ
تشرقُ من دائرةِ الأحزانِ والسلو

..

ينظرون .. حتى تتآكل العيونُ

تتآكل الليالى ،

تتآكل القطاراتُ من الرواجِ والغدو
والغائبون فى ترابِ الوطنِ — العدو
لا يرجعون للبلاد ..

لا يخلعون معطفَ الوحشةِ عن مناكبِ الأعيادِ !

سرحانُ يا سرحانُ
والصمتُ قد هدَّكَ
حتَّى متى وحدكُ
يخْفِرُكَ السَّجَّانُ ؟

.. ..
نُقْتَلُ ، أو نُقْتَلُ
هذا الخيارُ الصعبُ
وشلنا بالرعبِ ..
تُرَدُّدُ العُرُلِ

.. ..
في البيتِ ، في الميدانِ
نُقْتَلُ يا سرحان !

- ٣ -

أخبرهُ الشاى تدور في الفناجين ، وتشرَّبُ
يَلْتَمُ شَمْلُ العائِلَةِ
.. إلا الذى فى الصَّحراءِ القاحلةِ

- ٢ -

نافورة حمران .
طفل يبيع الفلَّ بين العَرَبَاتِ ..
مقتولة تنتظر السَّيَّارة البيضاء .
كلبٌ يحكُّ أنفه على عمود النور .
مقهى ، ومذباغ ، وتُرْدُ صاحب ، وطاولات .
ألويةٌ ملوَّيةٌ الأعناق فوق الساريات .
أنديةٌ ليلية .
كتابةٌ ضوئية .
الصحفُ الداميةُ العنوانِ .. يبيضُ الصفحات .
حواططُ ، ومُلصقاتُ ..
تدعو لرؤية (الأب الجالس فوق الشجرة)
والثورة المنتصرة !
إيقاعات :

يرقدُ في أمعاء طائرٍ وذئبٍ

(يهبطُ من صورته المقلبه

يلتفتُ حول رأسه الدامي شريطُ الحزنِ

يجلسُ قربَ الركنِ

يضغى إلى ثرثرة الأفواه والملاعقِ المُبتدلةِ

ينشقُّ في وقفته .. نصفينِ

يصبُّ في منتصفِ الفئجانِ .. قطرتينِ
من دمه ،

ينكسرُ الفئجانُ .. شظيتينِ)

ينكسرُ النسيانُ

وهو يعودُ باكياً إلى إطارِ الصورة المُجَلِّلةِ

بآيةِ القرآنِ !

.. ..
الدمُ في الوسائدِ

بلونه الداكنُ

واللُبُّ الساخنُ

تبيعه الجرائدُ

.. ..

اللُبُّ الفاسدُ

اللُبُّ الفاسدُ

اللُبُّ الفاسدُ

يُخفي الدمَ — الشاهدُ

- ٤ -

أموتُ في الفراشِ .. مثلما تموتُ العيرُ ،

أموتُ ، والنفيرُ ..

يدقُّ في دمشقِ ..

أموتُ في الشارعِ : في العطورِ والأزياءِ

أموتُ ، والأعداءُ ..

تلوسُ وجهَ الحقِّ .

إيقاعات :

الدمُ قبلَ النومِ

نلبسه .. رداً

والدمُ صارَ ماءً

يراقُ كلُّ يومِ

« وما يجسمى موضع إلا وفيه طعنة برمخ »
.. إلا وفيه جرح ،
إذن .

« فلا نامت عيون الجبناء »

لا وقت للبكاء

لا وقت للبكاء .

فالعلم الذي تنكسيتهُ .. على سرادق العزاء
مُنكسٌ في الشاطيء الآخر ،
والأبناء ..

يُستشهدون كى يقيموه .. على « تبة » ،
العلمُ المنسوجُ من حلاوة النصر ومن مرارة النكبة
خيطةً من الحب .. وخيطين من الدماء
العلمُ المنسوج من خيام اللاجئين للعزاء
ومن مناديل وداع الأمهات للجنود :
في الشاطيء الآخر ..

مُلقي في الثرى ..

ينهش فيه الدودُ ،

ينهش فيه الدودُ .. واليهودُ

فانخلعى من قلبك المفتود

١٩٧٠

مقاتلين .. فمقاتلين .. في الحَلَبَةِ .

• • •

الشمسُ (هذه نلتى تأتى من الشرق بلا استحياء)

كيف تُرى ثمرٌ فوق الضفة الأخرى ..

ولا تجمىءُ مُطْفَأَه ؟

والنسمَةُ التى تُمرُّ فى هُبُوبها على حِجَمِ الأعداء

كيف تُرى نُشُمُها .. فلا تسدُّ الأنفَ ؟

أو تحترقُ الرئةُ ؟

وهذه الخرائطُ التى صارتُ بها سيناء

عِبْرِيَّةُ الأسماء

كيف نراها .. دون أن يصيبنا العمى ؟

والعارُ .. من أُمَّتنا السُّجْرَاءُ ؟

.. والطفلةُ الصغيرةُ العذبة

تُطلقُ — فوقَ البيتِ — « طيارَئِها » البيضاء

كيف تُرى تكتُبُ فى كُرَّاسِةِ الإنشاء

عن بيتها المهذومِ فوقَ الأبِ .. واللعبةُ ؟

وأُمى التى تظلُّ فى فناءِ البيتِ مُتَكَبِّةً

فها على أبوابك السبعة ، يا طِيبَةَ ..

باطِيبَةَ الأسماء :

يُقعى أبو الهول ،

وتُقعى أُمَّةُ الأعداء

مجنونة الأنيابِ والرغبة ..

تشربُ من دمائِ ابنائكِ قرَبَةً .. قرَبَةً

تفرشُ أطفالكِ فى الأرضِ بساطاً ..

للمدْرَعاتِ والأحذيةِ الصلبةِ

وأنتِ تبكين على الأبناء ،

تبكين ؟

يا ساقيةَ دائرةِ ينكسرُ الحنينُ ..

فى قلبها ، ونيلكِ الجارى على خَدِّ النجوم

يجرى دموع

ضفافه : الأحزانُ والغربةُ ،

تبكين ؟ مَنْ تبكين ؟

وأنتِ طولَ العمرِ — تشقينَ ، وتحصدينَ ..

مرارةَ الحنينةِ

وأنتِ — طولَ العمرِ — تبقينَ ، وتنجينينَ ..

مقروحة العينين ، مسترسلة الرئاء
تنكث بالعود على التربة :

رأيتها : الخنساء

ترثى شبابها المستشهدين في الصحراء .

رأيتها : اسماء

تبكى ابنها المقتول في الكعبة ،

رأيتها : شجرة الدر ..

ترد خلفها الباب على حثان (نجم الدين)

تعلق صدرها على الطعنة والسكين

فالجند في الدلتا

ليس لهم أن ينظروا إلى الورا

أو يدفنوا الموتى

إلا صيحة الغد المنتصر الميمون

.. .. .

(.. والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت يوماً : سفائن الإفرنج

تغوص تحت الموج .

وملك الإفرنج

يفوص تحت السرج .

وراية الإفرنج

تغوص ، والأقدام تفرى وجهها المعوج ،

.. وها أنا - الآن - أرى في غدك المكنون :

صيفاً كثيف الوهج

ومدناً ترتج

وسفنناً لم تتج

ونجمة تسقط - فوق حائط المبكى - إلى الـ

وراية (العقاب)

ساطعة في الأوج ..

• • •

والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت ليلة الثامن والعشرين ..

من سبتمبر الحزين :

رأيت في هتاف شعبي اجريح
(رأيت خلف الصورة)

وجهك .. يا منصوره ،

وجه لويس التاسع المأسور في يدي صبيح

.. .. .

رأيت في صبيحة الأول من تشرين

جندك .. يا حطين

،

لا يدرون ..

أن كل واحد من الماشين

فيه .. صلاح الدين !

(٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)

العهد الآتي

وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد متًا عارة
الخير والشر .

المهد القديم

تك ٣ : ٢٢

مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم
لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود .

المهد الجديد

يو ١٨ : ٦

أبانا الذي في المَبَاحِثِ . نحن رعاياك . باقٍ
لكَّ الجبروتُ . وبقاٍ لنا الملكوتُ . وبقاٍ لمن
تَحْرُسُ الرَّهْبُوتُ .

• • •

تفرَّدتَ وحدك باليسر . إن اليمينَ لفي الحُسْنِ .
أما اليسارُ ففي العُسْرِ . إلا . الذين يُمَاشُونَ .
إلا الذين يَمِيشُونَ يَمَحْشُونَ بالصَّحِيفِ المَشْتَرَاةِ
العيونَ .. فَيَمَحْشُونَ . إلا الذين يَمَشُونَ . وإلَّا
الذين يُوشُونَ ياقات قمصانهم برباط السكوتِ !
تعاليتَ . ماذا يهْمُكَ ممن يذمُّكَ ؟ اليوم يومك
يرق السجِّينُ إلى سُدَّةِ العرشِ ..
والعرشُ يصبح سَجناً جديداً وأنت مكانك . قد

يَتَبَدَّلُ رَسْمُكَ وَاسْمُكَ . لَكِنْ جَوْهَرُكَ الْفَرْدُ
لَا يَتَحَوَّلُ . الصَّمْتُ وَشِمْلُكَ . وَالصَّمْتُ وَمَا
وَالصَّمْتُ — حَيْثُ التَّفَتُّ — يَرِينُ وَيَسْمُكُ
بَيْنَ خَيْطِ يَدَيْكَ الْمَشْبُوكَيْنِ الْمَصْمُغَتَيْنِ يَلْفُ
الْفَرَاشَةَ .. وَالْعَنْكَبُوتُ .

• • •

أَيُّهَا الَّذِي فِي الْمُبَاحِثِ . كَيْفَ تَمُوتُ .
وَأَغْنِيَةُ الثَّوْرَةِ الْأَبَدِيَّةِ
لَيْسَتْ تَمُوتُ ؟!

(الاصحاح الأول)

فِي الْبَدءِ كُنْتُ رَجُلًا .. وَامْرَأَةً .. وَشَجَرَةً .
كُنْتُ أَبًا .. وَابْنًا .. وَرُوحًا قُدُّوسًا .
كُنْتُ الصَّبَاحَ .. وَالْمَسَاءَ ..
وَالْحَدِيقَةَ الثَّابِتَةَ الْمُدَوَّرَةَ .
وَكَانَ عَرْشِي حَجْرًا عَلَى صَفَافِ النَّهْرِ
وَكَانَتِ الشَّيْءُ ..
تَرَعِي ؟ وَكَانَ النَّحْلُ حَوْلَ الرَّهْرِ ..
يَطْنُ ؛ وَالْإِوْرُ يُظْفِقُ فِي بَحِيرَةِ السَّكُونِ ،
وَالْحَيَاةُ ..
تَنْبُضُ — كَالطَّاحُونَةِ الْبَعِيدَةِ !
حِينَ رَأَيْتُ أَنْ كُلَّ مَا أَرَاهُ
لَا يَنْقُدُ الْقَلْبَ مِنَ الْمَلَلِ !

(مبارزاتُ الديكَة)

كانت هي التسليّة الوحيدةُ

في جلستي الوحيدة

بين غصونِ الشجرِ المشتبكة !

(الاصحاح الثالث)

قلتُ : فليكن الحبُّ في الأرض ، لكنه لم يكن !

قلتُ : فليذبِ النهرُ في البحرِ ، والبحرُ في السُّحْبِ ،

والسُّحْبُ في الجذبِ ، والجذبُ في الخصبِ ، ينبت

خبزاً ليسندَ قلبَ الجياعِ ، وعشباً لماشيةً

الأرضِ ، ظلّاً لمن يتعرَّبُ في صحراءِ الشجنِ .

ورأيتُ ابنَ آدمَ — ينصبُ أسواره حول مزرعةٍ

اللهِ ، يتتاعُ من حوله حرساً ، ويبيع لإخوته

الخبزَ والماءَ ، يحتلبُ البقراتِ العجافَ لتعطي اللبنُ .

قلتُ فليكن الحبُّ في الأرض ، لكنه لم يكن .

أصبحَ الحبُّ يملكاً لمن يملكون الثمنُ .

... ..

ورأى الربُّ ذلكَ غيرَ حسنٍ !

• • •

قلتُ : فليكن العدلُ في الأرض ؛ عَيْنَ بعَيْنٍ وَسِرِّ بِسِرِّ .

قلتُ : هل يأكلُ الذئبُ ذنباً ، أو الشاةُ شاةً ؟

ولا تضعُ السيفَ في عُنقِ اثنين : طفلٌ .. وشيخٌ مُ

(الاصحاح الثاني)

قلتُ لنفسي : لو نزلت الماء .. واغتسلت .. لانقسمتُ

(لو انقسمت .. لازدوجت .. وابتمت)

وبعدما استحممتُ ..

تتاسخُ الزهرُ وشاحاً من حرارةِ الشفاهِ

لَقَفْتُ فيه جسدي المصطكُ .

(وكان عرشي طافياً .. كالفلك)

ورفُ عصفورٍ على رأسي ؛ وخطُّ ينفص البُللُ

حدقتُ في قرارةِ المياهِ

حدقتُ ؛ كان مأراًه

وجهي .. مكللاً بتاجِ الشوكِ !

ورأيت ابن آدم يزدي ابن آدم ، يشعل في
المدن النار ، يغرس خنجره في بطون الحوامل ،
يلقي أصابع أطفاله علفاً للخيول ، يقص الشفاة
وروداً تزين مائدة النصر .. وهي تئن .
أصبح العدل موتاً ، وميزانه البندقية ، أبنائه
صلبوا في الميادين ، أو شنقوا في زوايا المدن .
قلت : فليكن العدل في الأرض ، لكنه لم يكن .
أصبح العدل ملكاً لمن جلسوا فوق عرش الجماجم
بالطلسان —

الكفن

ورأى الرب ذلك غير حسن !

• • •

قلت : فليكن العقل في الأرض ، تُصغى إلى صوته المترن
قلت : هل يبنتي الطير أعشاشه في فم الأفعوان ،
هل الدود يسكن في لب النار ، والبوم هل
يضع الكحل في هدب عينيه ، هل يبذر الملح

من يرتجى القمح حين يدور الزمن .

ورأيت ابن آدم وهو يجن ، فيقتلع الشجر المتطاوّل ،

ييصق في البئر ، يلقي على صفحة النهر بالزيت ،

يسكن في البيت ؛ ثم يحني في أسفل الباب ،

قبلة الموت ، يؤوي العقارب في دفاء أضلاعه ،

ويورث أبناءه دينه .. واسمه .. وقميص الفتن .

أصبح العقل مغترباً يتسول ، يقذفه صبيته

بالحجارة ، يوقفه الجنّد عند الحدود ، وتسحب

منه الحكومات جنسية الوطني .. وتدرجه في

قوائم من يكرهون الوطن .

قلت : فليكن العقل في الأرض ، لكنه لم يكن .

سقط العقل في دورة النفي والسجن .. حتى يجن

.....

ورأى الرب ذلك غير حسن !

(الاصحاح الرابع)

قلت : فلنكن الريخ في الأرض ؛ تكنس هذا العفر

قلت : فلنكن الريخ والدم .. تقتلع الريخ هسهته

حَدَّقْتُ فِي الصَّخْرِ ؛ وَفِي الْيَبْوَعِ
رَأَيْتُ وَجْهِي فِي سِيمَاتِ الْجَوْعِ !
حَدَّقْتُ فِي جَبِينِي الْمَقْلُوبِ
رَأَيْتِي : الصَّلِيبَ وَالْمَصْلُوبِ
صَرَخْتُ — كُنْتُ خَارِجاً مِنْ رَحِمِ الْهِنَاءِ
صَرَخْتُ ؛ أَطْلُبُ الْبِرَاءَةَ
كَيْتُونِي : مَشْنَقِي
وَحَبْلِي السَّرِيءُ :
حَبْلُهَا
المَقْطُوعُ !

الورقِ الذابل المُتَشَبِّثِ ، يندلع الدَّمُ حَتَّى
الجنودِ فيزهرها ويظهرها ، ثم يصعدُ فِي
السُّوقِ .. والورقِ المُتَشَابِكِ . والثمرِ المُتَدَلِّي ؛
فيعصره العاصرون نبيذاً يزغرد فِي كُلِّ دُنْ .
قلتُ : فليكن الدَّمُ نهراً من الشَّهيد ينساب تحت فراديس عَدْنِ
هذه الأَرْضِ حَسَنَاءُ ، زينتها الفقراءُ ، لهم تَطَطُّبٌ ،
يعطونها الحُبَّ ، تعطيمهم النسلَ والكبرياءَ .
قلتُ : لا يسكن الأَغْنِيَاءُ بِهَا . الأَغْنِيَاءُ الَّذِينَ
يَصُوغُونَ مِنْ عَرِقِ الأَجْرَاءِ نُقُودَ زِنَا .. ولآلئِ
تَاجٍ . وأقراطِ عَاجٍ .. ومسيحةٍ للرياءِ .
إنني أُولُ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ مُعْتَرِينَ ،
يموتون مُحْتَسِبِينَ لِدَى الْعِزَاءِ .
قلتُ : فلنكن الأَرْضُ لِي ... وَلَهُمْ !
(وَأَنَا بَيْنَهُمْ)
حين أخلع عني ثيابَ السَّمَاءِ .
فأنا أُنْقَدَسُ — فِي صَرَخَةِ الْجَوْعِ — فَوْقَ الْفَرَاشِ الْحَشِينِ !

(الإصحاح الخامس)

وشعاري : الصباح !

(الاصحاح الثاني)

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

رَفَعَتْ أُمُّهُ الطَّيِّبَةَ

عَيْنَهَا ..

(دَفَعَتْهُ كُحُوبُ الْبِنَادِقِ فِي الْمَرْكَبَةِ !)

... ..

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

نَهَضَتْ ؛ نَسَقَتْ مَكْتَبَهُ ..

(صَفَعْتَهُ يَدًا ..

— أَدْخَلْتَهُ يَدُ اللَّهِ فِي التَّجْرِبَةِ —)

... ..

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

جَلَسَتْ أُمُّهُ ؛ رَتَّقَتْ جُورَبَهُ ..

(وَخَرَّثَتْهُ عَيُونُ الْمُحَقِّقِ ..

سفر الخروج

(أغنية الكهنة الحجرية)

(الاصحاح الأول)

أُيِّهَا الْوَاقِفُونَ عَلَى حَافَةِ الْمَذْبَحَةِ

أَشْهَرُوا الْأَسْلِحَةَ !

سَقَطَ الْمَوْتُ ؛ وَانْفَرَطَ الْقَلْبُ كَالْمَسْبُوحَةِ

وَالدَّمُ انْسَابَ فَوْقَ الْوِشَاحِ !

الْمَنَازِلَ أَضْرَحَتْ ،

وَالرِّيزَانَ أَضْرَحَتْ ،

وَالْمَدَى .. أَضْرَحَتْ

فَارْفَعُوا الْأَسْلِحَةَ

وَاتَّبِعُونِي !

أَنَا نَدَمُ الْغَيْدِ وَالْبَارِحَةِ

رَأَيْتِي : عَظَمَتَانِ .. وَجُمُجَمَةٌ ،

حتى تَفَجَّرَ من جلده الدَّمُ والأجوبة !)

... ..

دقت الساعة المتعبة !

دقت الساعة المتعبة !

(الاصحاح الثالث)

عندما تهبطين على ساحة القوم ؛ لا تَبْدِيْ بالسلام

فهمُ الآنَ يَقْتَسِمُونَ صغارِكِ فوق صحاف الطعام

بعد أن أشعلوا النارَ في العُشِّ ..

والقَشِّ ..

والسنبله .

وغداً يَذْبَحُونَكَ .. بحثاً عن الكنزِ في الحَوْصَلَةِ !

وغداً تَقْتَدِيْ مُدُنُ الأليفِ عام .

مدناً .. للخيام

مدناً ترتقى دَرَجَ المَقْصَلَةِ !

(الاصحاح الرابع)

دقت الساعة القاسية

وقفوا في ميادينها الجَهْمَةِ الخاوية

واستداروا على دَرَجَاتِ النَّصْبِ

شجراً من لَهَب

تعصف الريحُ بين ورُيقاته الغضة الدانية

فَيُنُّ : « بلادى .. بلادى »

(بلادى البعيدة !)

... ..

دقت الساعة القاسية

« انظروا » ؛ هتفت غانية

تتمطى بسيارة الرقم الجُمُرَكِيِّ ؛

وتمتت الثانية :

سوف ينصرفون إذا البردُ حَلَّ .. وَرَانَ التعب

... ..

دقت الساعة القاسية

كان مذياعُ مقهى يذيع أحاديثه البالية

عن دُعاةِ الشغب

وهم يستديرون ؛

يشتلون — على الكعكةِ الحَجْرِيَّةِ — حول النَّصْبِ

شمعدانَ غَضَب

الوداع !

(الاصحاح السادس)

دقت الساعة الخامسة

ظَهَرَ الجندُ دائرةً من ذُرُوعٍ وَخُودَاتِ حَرْبٍ

ها هُم الآنَ يَقْتَرِبُونَ رويداً .. رويداً ..

يَجِيئُونَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ

والمُعْتُونَ — فِي الكَعكَةِ الحَجَرِيَّةِ — يَنْقَبِضُونَ

وَيَنْفَرُجُونَ

كَنِيضَةِ قَلْبٍ !

يُشْعَلُونَ الحِناجِرَ ،

يَسْتَدْفِنُونَ مِنَ البَرْدِ وَالظَلْمَةِ القَارِسةِ

يَرْفَعُونَ الأَناسِيدَ فِي أَوَجِهِ الحِرْسِ المَقْتَرِبِ

يَشِكُونَ أَيْدِيَهُمُ العَضَّةَ البائِسةَ

لنَصِيرِ ساجِأٍ يَصُدُّ الرِصاصَ !

الرِصاصِ ..

الرِصاصِ ..

وَأه ..

يتوهج في الليل ..

والصوتُ يكتسحُ العنمةَ الباقيةَ

يَتَقَنَّى لِليلةِ مِلاَدِ مصرِ الجَدِيدةِ !

(الاصحاح الخامس)

أذكركني !

فقد لَوَّنتني العناوينُ فِي الصُّحُفِ الخائِنةِ !

لَوَّنتني .. لألئى منذ الهزيمةِ لا لَوْنٌ لِي

(غير لَوْنِ الضياغِ)

قَبْلَها ؛ كُنْتُ أَقرأ فِي صَفْحَةِ الرَمْلِ

(والرملُ أَصْبَحَ كالعَمَلَةِ الصعِبةِ ،

الرملُ أَصْبَحَ أبْسَطَةً .. تحت أَقدامِ جيشِ الدِّفاعِ)

فأذكركني ؛ كما تذكركين المُهَرَّبِ .. والمطربِ العاطفيِّ ..

وَكأَبِ العقيدِ .. وزِينَةِ رَأْسِ السِنَةِ .

أذكركني إِذا نَسِيتني شُهُودُ العِيانِ

وَمَضْبَطَةُ البرلمانِ

وَقائمةُ التُّهَمِ المُعلَّنةِ

والوداع !

« نحن فداؤ ... »

وتسقط حنجرة مُحْرَسَةٌ

معها يسقط اسمك — يا مصرُ — في الأرض

لا يَبْقَى سوى الجسدِ المتَهشمِ والصرخاتِ

على الساحةِ الدامسةِ !

دقت الساعة الخامسة

... ..

دقت الخامسة

... ..

دقت الخامسة

... ..

وتَفَرَّقَ مأوُكٌ — يانهُرُ — حينَ بَلَغَتِ المَصَبَ !

• • •

المنازلُ أضرحةٌ ، والزنازُنُ

أضرحةٌ ، والمدى أضرحة

فارفعوا الأسلحة !

ارفعوا

الأسلحة

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس

(بكائيات)

(الاصحاح الأول)

عائدون ؛ وأصغرُ إخوتهم ذو العيون الحزينة

يتقلَّب في الجُبِّ ،

أجهلُ إخوتهم .. لا يعودُ !

وعجوزٌ هي القدسُ (يشتعل الرأسُ شيئا)

تشم القميص . فتبيِّضُ أعينها بالبكاء ،

ولا تخلع الثوبَ حتى يجيءَ لها نباٌ عن فتاها البعيد

أرضُ كنعان — إن لم تكن أنت فيها — مراغ من الشوك

يُورثها الله من شاء من أمم ،

فالذى يحرس الأرض ليس الصيارف

إن الذى يحرس الأرض ربُّ الجنود

أه من في غيدٍ سوف يرفع هَامَتَهُ

غير من طأطأوا حينَ أزر الرصاصُ ؟

ومن سوف يخطب — في ساحة الشهداء —
سوى الجبناء ؟
ومن سوف يُغوي الأرامل إلا الذي
سيؤول إليه راجُ المدينة ؟!!

(الاصحاح الثاني)

أرشق في الحائط حد المطواه
والموت يهتُ من الصحف الملقاة
اتجزأ في المرآة
يصفني وجهي المتخفي تحت قناع النفط
« من يجرؤ أن يضع الجرس الأول في عنق القط ؟ »

(الاصحاح الثالث)

منظر جانبي لفيروز
(وهي تطل على البحر من شرفة الفجر)
لبنان فوق الخريطة :
منظر جانبي لفيروز ،
والبنديقة تدخل كل بيوت (الجنوب)

مطر النار يهطل ، يثقب قلباً .. فقلباً
ويترك فوق الخريطة ثقباً .. فثقباً
وفيروز في أغنيات الرعاة البسيطة
تستعيد المراثي لمن سقطوا في الحروب
تستعيد الجنوب !

(الاصحاح الرابع)

البسمة حلم
والشمس هي الدينار الزائف
في طبق اليوم
(من يمسخ عنى عرق في هذا اليوم الصائف)
والظل الخائف
يتمدد من تحتي ؟
يفصل بين الأرض .. وبينى !
وفضاء لك كبحرف مات بأرض الخوف
(حاء .. باء)
(حاء .. راء .. ياء .. هاء)
الحرف : السيف
مازلت أروذ بلاذ اللون الداكن

قهوة ، وشطيرة
واشترى شمعتين . وعَدَّارَةً ؛ وذخيرة
وزجاجة ماء

... ..

عندما أطلق النارَ كانت يدُ القدس فوق الزناد
(ويدُ الله تخلع عن جسدِ القدس ثوبَ الحداد)
ليس من أجل أن يتفجَّرَ نَفْطُ الجزيرة
ليس من أجل أن يتفاوَضَ من يتفاوَضُ
من حول مائدةٍ مستديرة
ليس من أجل أن يأكلَ السادةُ الكسْتَنَاءَ .

(الاصحاح السابع)

ليغفر الرصاصُ من ذنبك ما تأخَّرُ
ليغفر الرصاصُ .. ياكِسْتَنْجُرُ

ابحث عنه بين الاحياء الموقى والموقى الاحياء
حتى يرتدَّ النبضُ إلى القلبِ الساكنِ
لكن .. !!

(الاصحاح الخامس)

منظرُ جانبيِّ لعمَّانَ عامَ البكاءِ
والحوائطُ مرشوشةٌ ببقايا دمِ لعفته الكلابُ
ونهودُ الصبايا مصاييح مطفأة فوق أعمدة الكهرباءِ
منظرُ جانبيِّ لعمَّانَ ؛

والحرسُ الملكيُّ يفتشُ ثوبَ الخليفةِ

وهو يسيرُ إلى « إلبياء »

وتغيبُ البيوتُ وراءَ الدخانِ

وتغيبُ عيونُ الضحايا وراءَ النجومِ الصغيرةِ

في العلمِ الأجنبيِّ ،

ويعلو وراءَ نوافذِ « بسمان » عزفُ البيانِ

(الاصحاح السادس)

إشترى في المساءِ

والقطارات ترحل ، والراحلون
يصلون .. ولا يصلون !

(الاصحاح الثاني)

سنترال :

أعطِ للفتيات

(اللواتي يَتَمَنَّ إلى جانب الآلة الباردة

شارداد الحيال)

رقمى . — رقم الموت — حتى أجيء إلى العرس

ذى الليلة الواحدة !

أعطه للرجال ..

عندما يلتصمون حبيباتهم فى الصباح ،

ويرتحلون إلى جبهات القتال !

(الاصحاح الثالث)

الشهور زهورٌ على حافة القلب تنمو

وتحرقها الشمس ذات العيون الشتائية المطفأة

زهرة فى إناء

توهج فى أول الحب بينى وبينك

سفر الف دال

(الاصحاح الأول)

القطارات ترحل فوق قضيبين : ما كان — ماسيكون !

والسماء رماد ، به صنع الموت قهوته ،

ثم ذراه كى تتشقق الكائناث

فينسل بين الشرايين والأفئدة .

كل شيء — خلال الزجاج — يقر :

رذاذ الغبار على بقعة الضوء ،

أغنية الريح ،

قنطرة النهر ،

سرب العصافير والأعمدة .

كل شيء يقر ،

فلا الماء تمسكه اليد ،

والحلم لا يتبقى على شرفات العيون .

... ..

تصبح طفلاً .. وأرجوحة .. وامرأة .

زهرة في الرداء

تتفتح أوراقها في حياء

عندما نتخاصر في المشية الهادئة .

زهرة من غناء

تورد فوق كمنجات صوتك

حين تفاجئك القبله الدافئة

زهرة من بكاء

تجمد فوق شجيرة عينيك في لحظات الشجار الصغيرة ،

أشواكها : الحزن والكرباء .

... ..

زهرة فوق قبر صغير

تنحني ؛ وأنا أتماشى التطلع نحوك ..

في لحظات الوداع الأخير

تتعمى ؛ وتلتف بالدمع في كل ليل إذا الصمت جاء

لم يعد غيرها من زهور المساء

هذه الزهرة — اللؤلؤة !

(الاصحاح الرابع)

تحبل الفتيات

في زيارات أعمامهن إلى العائلة

ثم يجهبهن الزحام على سلم « الحافلة »

وترام الضجيج !

• • •

تذهب السيدات

ليعالجن أسنانهن فيؤمن بالوحدة الشاملة !

ويجدن الهوى بلسان « الخليج » ؟

• • •

يا أبانا الذي صار في الصيدليات والعلب العازلة

تجنا من يد « القابلة »

تجنا . حين تقضم — في جنة البؤس — تفاحة العربات

وثياب الخروج !!

(الاصحاح الخامس)

لأنقل شوق الوحيد
لك ، للسنبلة
للزهور التي تتبرعمُ في السنة المقبلة
قَلْبِي .. ولا تدمعي !
سُحِبْ الدمع تحجيني عن عيونك ..
في هذه اللحظة المثقلة
كثُرَتْ بيننا الستُرُ الفاصلة
لا تُضيفي إليها ستاراً جديداً !

(الاصحاح السادس)

كان يجلسُ في هذه الزاوية .
كان يكتب ، والمرأة العارية
تتجولُ بين الموائد ؛ تعرض فنتتها بالثمن .
عندما سألتُه عن الحربِ ، قال لها ..
لا تخافي على الغرورة الغالية
فعدوُ الوطن
مثلنا يَحْتَنِنُ
مثلنا .. يعيشُ السَّلْعُ الأجنبية ،

تصرخين .. وتخرقين صفوفَ الجنودِ
نتعانق في اللحظاتِ الأخيرة ،
في الدرجاتِ الأخيرة .. من سَلَمِ المصفلة .
أتمسَسُ وجهك !
(هل أنتِ طفلتِي المستحيلةُ أم أُمِّي الأرملةُ ؟)
أتمسَسُ وجهك !
(لم أكُ أعمى ..
ولكنهم أرفقوا مقلتي ویدی بَمَلْفِ اعترافي
لتنظرة السُلطاتِ ..
فتعرفُ أُنِّي راجعته كلمةً .. كلمةً ..
ثم وَقَعْتَهُ يدي ..
— ربما دسُّ هذا المحقِّقُ لي جملةً تنتهي في إلى الموتِ ! —
لكنهم وعدوا أن يعيدوا إليَّ يديَّ وعينيَّ بعد
انتهاء المحاكمة العادلة !)
زمن الموتِ لا ينتهي يا ابنتي الناكلةُ
وأنا لستُ أوَّلُ من نبأ الناسَ عن زمن الزلزلة
وأنا لستُ أوَّلُ من قال في السوقِ :
ان الحمامةُ — في العُشْرِ — تحتضن القنبلة !
قَلْبِي ؛ لأنقلُ سرِّي إلى شفتيك ،

يكره لحم الخنازير ،
يدفع للبندقية .. والغانية .

.. فيكت !

... ..

كان يجلس في هذه الزاوية .
عندما مرّت المرأة العارية

ودعاها ؛ فقالت له إنها لن تطيل القعود

فهى منذ الصباح تُفتشُ مستشفيات الجنود
عن أخيها المحاصر في الضفة الثانية

(عادت الأرض .. لكنّه لا يعود !)

وحكّت كيف تحمل العباء طيلة غربته القاسية

وحكّت كيف تليس — حين يجيء — ملابسها الضافية

وأرثته له صورة بين أطفاله .. ذات عيد

.. وبكت !!

(الاصحاح السابع)

أشعر الآن أنى وحيد ؛

وأن المدينة في الليل ..

(أشباخها وبنائها الشاهقة)

سفن غارقة

نهبتها قراصنة الموت ثم رمتها إلى القاع منذ سنين .

أسند الرأس ربّانها فوق حافتها ،

وزجاجة خمرٍ معطمة تحت أقدامه

وبقايا وسمام تمخين .

وتشبّت بحارة الأمس فيها بأعمدة الصمّ في الأروقة

يتسلّل من بين أسماهم سمك الذكريات الحزين .

وخناجر صامتة ..

وطحالب نابثة ..

وسلال من القطط النافقة .

ليس ما ينبض الآن بالروح في ذلك العالم المستكين

غير ما ينشر الموج من علم .. كان في هبة الريح

والآن يفرك كفيه في هذه الرقعة الضيقة

سيظلّ على الساريات الكسيرة يخفق ..

حتى يذوب .. رويداً .. رويداً ..

ويصدأ فيه الحنين

دون أن يلمّ الريح ثانية ، أو يرى الأرض ،

أو يتنهّد .. من شمسها المحرقة !

(الاصحاح الثامن)

آه .. سيدتي المسبلة

آه .. سيدة الصمت والفتات الودود

لم يكن داخل الشقة المقلّة

غير قطّ وحيد .

حين عادت من السوق تحمل سلّتها المثقلة

عرفت أن ساعي البريد

مرّ ..

(في فتحة الباب كان الخطاب

طريحاً ..

ككباب الشهيد !)

قفز القطّ في الولولة

قفزت من شبابيك جيرانها الأسئلة

... ..

آه .. سيدة الصمت والكلمات الشرود

آه .. أيتها الأرملة !

(الاصحاح التاسع)

دائماً .. حين أمشي ؛ أرى السّترّة القرمزيّة

بين الزحام .

وأرى شعرك المتهدّل فوق الكتف .

وأرى وجهك المتبدّل .. فوق مرايا الخوانيت ،

في الصّور الجانيبة ،

في نظرات البنات الوحيدات ،

في لمعان خدود المحبين عند حلول الظلام .

دائماً أتحمّسُ ملمسَ كفّك في كلّ كفّ .

المقاهي التي وهبّتنا الشراب ،

الزوايا التي لا يرانا بها الناس ،

تلك الليالي التي كان شعرك يبتلّ فيها ..

فتختبئين بصدرى من المطر العصبي

الهدايا التي نتشاجر من أجلها ،

حلقات الدخان التي تتجمّع في لحظات الخصام

دائماً أنت في المنتصف !

أنت بيني وبين كتابي ..

وبيني وبين فراشي ..

وبيني وبين هدوني ..

وبيني وبين الكلام .

ذكر يأتلك سجنى ، وصوتك يجلدى
ودمى قطرة — بين عينيك — ليست تجف !
غامحنى السلام !
امحنى السلام !

(الاصحاح العاشر)

أفاج تمام على راحة القمر الأبدى الصموت .
لمعانُ الجلودِ المفضضة المستطيلة يغدو مصايح
مسمومة الضوء ، يغفو بداخلها الموت ،
حتى إذا غرب القمر : انطفأت
وغلى في شرايينها السم
تنزفه قطرة .. قطرة ؛ في السكون المميث !

... ..

... ..

وأنا كنتُ بين الشوارع وحدى !
وبين المصايح وحدى !

أنصب بالحزن بين قميصي وجلدى

قطرة .. قطرة ؛ كان حى يموت

وأنا خارج من فراديسه ..

دون ورقة توت !!

الشوارعُ في آخر الليل .. آه
أرامل متشحات يتهنهن في عتبات القبور — البيوت .
قطرة .. قطرة ، تتساقط أدمعهن مصايح ذابلة
تتشبث في وجنة الليل ثم .. تموت !

... ..

الشوارع في آخر الليل .. آه

خيوط من العنكبوت .

والمصايح — تلك الفراشات — عالققة في مخالبها

تتلوى .. فتعصرها ، ثم تتحل شيئاً . فشيئاً

فتمتص من دمها قطرة .. قطرة ؛

فالمصايح قوت !

... ..

الشوارع في آخر الليل .. آه

ممدودة — كالداء
ومشدودة — كالوتر
... ..
وتظل .. وحيدة !!

المزمور الثاني

قلتُ لها في الليلة الماطرة :
البحرُ عنكبوت
وأنتِ — في شراكه — فراشةٌ تموتُ
وانتفضتُ كالقطعة النافرةُ
وانتصبت في خفقان الريح والأمواج
(ثديانٍ من زجاج)
وجسدٌ من عاج)
وانفلتتُ مبحرةً في رحلة المجهول ، فوق الرِّبْد المُهْتَاجِ
ناديتُ .. ما ردَّتْ !
صرختُ .. ما ارتدَّتْ !
وظلُّ صوتي يتلاشى .. في تلاشيتها ..

مزاهير

المزمور الأول

أعشق أسكندرية ،
واسكندرية تعشق رائحة البحر ،
والبحرُ يعشق فاتيةً في الضفافِ البعيدة !
* * *
كلُّ أمسيةٍ ؛ تنسلل من جانبي
تتجرّد من كلِّ أتواها
وتحلُّ غداثرها
ثم تخرج عاريةً في الشوارع تحت المطر !
فاذا اقتربت من سرير التنهيد والزُرْفَةِ
انطرحتُ في مُلاءاته الرغوية ؛
وانفتحت .. تنتظر !

وراء الموجة الكاسرة)

... ..
(خاسرة ، خاسرة)

إن تنظري في عَيْنِي الغريمة الساحرة
أو ترفعي عينيكَ نحو الماسية التي تزين التاج !)

المزمور الثالث

لفظ البحرُ أعضاءها في صباح أليم
فرايتُ الكلوم
ورأيتُ أظافرَها الدموية
تتلوى على خصلة « ذهبية »
فحشوتُ جراحاتها بالرمال ،
وأدفأتها ببنيد الكروم ..

... ..

وتعيشُ معي الآن !
ما بيننا حائطٌ من وجوم
بيننا نسماثُ « الغريم »
كلُ أمسية ..

تسلل في ساعة المدِّ ، في الساعة القمرية
تسترخ على صخرة الأبدية .

تسمعُ سخريةَ الموج من تحت أقدامها
وصفير البواخر .. راحلة في السواد الحميم
تصاعدُ من شفتيها المملحتين رياحُ السموم
تساقط أدمعها في سهوم
والنجوم

(الغريقة في القاع)

تصعدُ .. واحدة .. بعد أخرى ..

فتلقطها

وتعدُّ النجوم

في انتظار الحبيب القديم !

المزمور الرابع

(ترنيمة لشهر يناير)

فجأة .. يَجفُّ خطو القلب ،
تهتزُّ الكرياتُ الرصاصية في سلته

(هل إصبع الوحدة أم اصبعك المصوغ بالحناء ؟)

في الخارج أسواراً وأمطاراً ،

غلاف الليل ينشق عن الرعد

غلاف القلب ينشق عن الوجد

مساحات من الضوء الرمادي

أنا النافذة المغلقة السوداء

والنفاحة الحمراء

والأسماء

(إسمى كان مكتوباً على طُرف قميصي

قبل أن يعلّق في سلك الخلود الشائك !)

النهر ضميري (ولعينيك انسياب النهر)

ما أقسى انتظاري ! ..

وفؤادي ساعة رملية صفراء

يهوى الرمل في أعماقها شيئاً فشيئاً

ربما للرمل طعام الملح أحياناً .. وطعم الانتظار !!

(المزمور الخامس)

كان فستائك في الصيف من الكتان ،

والزهرة في صدرك بيضاء ،

ولكن الشتاء الآن يكسوك بلون السل والرجس

(حتى ورقة الثوب على فخذيك .. صفراء !)

هل الماء يفيض الآن في البئر ؟

هل الماء يفيض الآن في البئر ؟

أماء ؟ أم دم ؟

(هذا الندى القاتل ذو الوجهين)

كان الناي يمتد من الضفة للضفة

من صدرك إلى صدرك

كان الناي ممتداً

ولون الليل بين البرتقالى — الرمادي — السماوي

وفي شعرك غابات من الوحشة والصمت ؛

هوى نجم ؛ وفي الثانية التالية اصطكت يدي

في الشبح العابر

(هل كانت يدي في يدك اليسرى ؟)

وفي الثانية التالية اصطكت يدي في كلمة السجن

على وجه الجدار !!

المزمور السادس

نحْنُ صوتان ..

(إذن فالصوتُ قد أصبح صوتين !؟)

تَنَزَّهْنَا على خطِّ استواء الموتِ ،

لَمَلَمْنَا النفسِجَ .

وتسلفنا شعاعَ الزهْوِ ، حَنَلْنَا مزاليجَ البيوتِ

وقَدَحْنَا حَجَرَ الحُبِّ ؛ جلسنا نتوهجُ

فاحلَفَى باسمي ، وباسمِ العنكبوتِ

باسمِ نقشِ الذكرياتِ المُتَعَرِّجِ

وركامِ الذكرياتِ السَّرِجِ

انها ورقةُ توتِ .

سَقَطَتْ عن عورةِ الصيفِ ،

وظلَّت تندحرجُ

فوقنا نتفرِّجُ

(دون أن تُظَرِّفَ) حتى سقطت في النهرِ ..

وارتدَّت السكوتُ !

المزمور السابع

جاء الاناسُ الميتونَ ، يحملونَ

كفانهم ؛ اطيأرهم ليست إلى أعناقهم ؛

يستفسرون :

« ماذا أتى بنا هنا !؟ »

أتت بكم امرأةٌ خاطئةٌ

نهوِّدُها دافئةٌ

ولحمها مُعَطَّرُ النَّكْهَةِ

قد استدارت في فراشها برهة

عانقت الجدارَ ، قَبِلَتْ وَجْهَهُ

« يا أيُّها الجدارُ .. لا تَبْخُجْ بما ترى

ولا تُقَلِّعْ عن الذين يولدون

وعغمغم الجدارُ :

يا صديقتي الطفلة

ماكِ الذين يسألون !

... ..

ومرَّت الليلة

فرمما كان أباكم الجدارَ ،

ربما يكون !

المزمور الثامن

(شجوية)

لماذا يتابعني أينما سرْتُ صوتُ الكَمَانِ ؟

أسافرُ في القاطراتِ العتيقة ،

(كى أتحدّثُ للغرباءِ المُسَيِّينِ)

أرفعُ صوتي ليطغى على ضجّةِ العجلاتِ

وأغفو على نبضاتِ القطارِ الحديديةِ القلبِ

(تهدرُ مثل الطواحينِ)

لكنها بغتةً .. تتباعدُ شيئاً فشيئاً

ويصحو نداءُ الكمانِ !

• • •

أسيرُ مع الناسِ ، في المهرجاناتِ :

أصغى لبوقِ الجنودِ الثُّحاسِيّ

يملاً حلقي غبارَ النشيدِ الحماسِيّ

لكنني فجأةً .. لا أرى !

تتلاشى الصفوفُ أمامي

وينسربُ الصوتُ مبتعداً

ورويداً .. رويداً يعودُ إلى القلبِ صوتُ الكمانِ

لماذا إذا ما تبيّأتُ للنومِ يأتي الكمانُ ..

فأصغى له آتياً من مكانٍ بعيدٍ

فتصمتُ مهممةً الريحِ خلفَ الشبايبِكِ ،

نبضُ الوسادةِ في أذني

تراجعُ دقاتُ قلبي ،

وأرحلُ في مدنٍ لم أرزها

شوارعها فضةً .

وبناياتها من خيوطِ الأشعةِ .

ألقي التي واعدتني على ضفةِ النهرِ واقفة !

وعلى كتفها يحطُّ اليمامُ الغريبُ

ومن راحتها يغطُ الحنانُ !

أحبُّك ، صارَ الكمانُ كموبَ بنادقِ

وصارَ يمامُ الحداثتي .

تقابلُ تسقطُ في كلِّ آنٍ

... ..

وغابَ الكمانُ !

من أوراق أبو نواس

(الورقة الأولى)

« ملك أم كتابة ؟ »

صاح بي صاحبي ؛ وهو يُلقى بذرهمه في الهواء
ثم يلقفه ..

(تخرجين من الدرس كئيباً .. وخبر الطفولة فوق الرداء
والعصافير تمرق عبر البيوت ،
وتهبط فوق النخيل البعيد !)

... ..

« ملك أم كتابة ؟ »

صاح بي .. فانتبهت ، وزفت ذبابه
حول عينين لامعتين ..

فقلت : « الكتابة »

... فتح اليد مبتسماً ؛ كان وجه المليك السعيد
باسماً في مهابة !

« ملك أم كتابة ؟ »

صححت فيه بدوري ..

فرفرف في مقلتيه الصبا والنجابة

وأجاب : « الملك »

دون أن يتلعثم .. أو يرتبك

وفتحت يدي ..

كان نقش الكتابة

بارزاً في صلابه !

دارت الأرض دورتها ..

حملتنا الشواذيف من هدأة النهر

ألقنا بنا في جداول أرض السراية

نتفرق بين حقول الأسي .. وحقول الصباية .

قطرتين ؛ التقينا على سلم القصر ..

ذات مساءً وحيداً

كنت فيه : نديم الرشيد

— احرصوا

وتسلل في الحلق خيط من الدم

كان ألى يمسك الجرح ،

يمسك قامته .. ومهَابَتِهِ العائليَّة !

— يا ألى

— احرصوا

وتواريت في ثوب أُمِّي ، والطفل في صدرها مائتس

ومضوا بألى تاركين لنا اليم متشحاً بالخرس

(الورقة الرابعة)

أيها الشعرُ .. يا أيها الفرخ المُختلس

... ..

كل ما كنتُ أكتبُ في هذه الصفحة الورقيَّة

صادرته العسن

... ..

(الورقة الخامسة)

(الورقة الثانية)

من يملك العملة يُمسك بالوجهين

والفقراء بينَ يَيْن !

(الورقة الثالثة)

نائماً كنتُ جانبَه ؛ وسمعتُ الخرس

يوقظون ألى !

— خارجيُّ

— أنا .. !

— مارق

— من ؟ أنا !

صرخَ الطفلُ في صدر أُمِّي

(وأُمِّي مخلولة الشعر واقفة في ملابسها المنزلية)

— إحرصوا

واختبأنا وراءَ الجدارِ

... وأُمِّي مَخَادِمَةٌ هَارِسِيَّةٌ

يَتَنَاقَلُ سَادَتُهَا قَهْوَةَ الْخَنَسِيِّ وَهِيَ تَدِيرُ الْحَطْبَ
يَتَبَادَلُ سَادَتُهَا النُّظْرَاتُ لِأَرْدَافِهَا ..

عِنْدَمَا تَتَحَنَّنِي تُنْضِيءُ اللَّهْبَ

يَتَنَدَّرُ سَادَتُهَا الطَّيْبُونَ بِلَهْجَتِهَا الْأَعْجَمِيَّةِ !

• • •

نَائِمًا كُنْتُ جَانِبَهَا ، وَرَأَيْتُ مَلَكَ الْقُدْسِ

يَنْحَنِي ، وَيُرْبِتُ وَجْتَهَا

وَتَرَاحَى الذَّرَاعِينَ عَنِّي قَلِيلًا

وَسَارَتْ بِقَلْبِي قَشْعَرِيَّةُ الصَّمْتِ

— أُمِّي ؛ وَعَادَ لِي الصَّوْتُ

— أُمِّي ؛ وَجَاوَبَنِي الْمَوْتُ

— أُمِّي ؛ وَعَانَقْتَهَا .. وَبَكَيْتُ

وَعَامَ بِي الدَّمْعُ حَتَّى احْتَبَسَ !

• • •

(الورقة السادسة)

لَا تَسْأَلْنِي إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ

مَخْلُوقًا أَوْ أَرْزَلِي

بَلْ سَأَلْنِي إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ

لِصًّا .. أَوْ نِصْفَ نَبِيٍّ

(الورقة السابعة)

كُنْتُ فِي كَرْبَلَاءَ

قَالَ لِي الشَّيْخُ أَنَّ الْحُسَيْنَ

مَاتَ مِنْ أَجْلِ جَرَعَةِ مَاءٍ

... ..

وَتَسَاءَلْتُ كَيْفَ السِّيُوفُ اسْتَبَاحَتْ بَنِي الْأَكْرَمِينَ

فَأَجَابَ الَّذِي بَصَّرْتَهُ السَّمَاءَ

إِنَّهُ الذَّهَبُ الْمَتَلَالِيُّ فِي كُلِّ عَيْنٍ

... ..

إِنْ تَكُنْ كَلِمَاتُ الْحُسَيْنِ

وَسِيُوفُ الْحُسَيْنِ

وجلالُ الحسين
سَقَطَتْ دون أن تُنقذ الحقَّ من ذهبِ الأمراءِ
أفتقدر أن تنقذَ الحقَّ ثرثرةَ الشعراءِ
والفراثُ لسانَ من الدم لا يجيذُ الشفتينِ ؟

• • •

ماتَ من أجل جرعة ماء ..
فاسقني يا غلام صباح مساء
اسقني يا غلام ..
علمي بالمدام ..
أتنامي الدماء !

رسوم في بهو عربى

(١)

اللَّوْحَةُ الأولى على الجدار :

ليلي « الدمشقيَّة »

من شرفة « الحمراء » ترنو لمغيبِ الشمس ،

ترنو للخيوط البُرْتَقَالِيَّة

وكرمة أندلسيَّة ، وفسقيَّة

... ..

وطبقات الصمغ والغبار !

نقش

(مولاي ، لا غالب إلا الله !)

اللوحة الأخيرة :
خريطة مبتورة الأجزاء
كان اسمها « سيناء »
ولطخة سوداء
تملأ كل الصورة

نقش

(الناسُ سواسيةٌ — في الذلِّ — كأسنانِ المشطِّ
ينكسرون — كأسنانِ المشطِّ
في لحيَةِ شيخِ النفطِ !)

• • •

كتابة في دفتر الاستقبال :
لا تسألني النبل أن يُعطيني وأن يَلدًا
لا تسألني .. أبدا
إني لأفتحُ عيني (حين أفتحُها !)
على كثيرٍ .. ولكن لا أرى أحدا !!

اللوحة الأخرى .. بلا إطار :
للمسجد الأقصى .. (وكان قيل أن يحترق الرواق)
وقبة الصخرة ، والبراق
وأية تأكلت حروفها الصغار !
نقش

(مولاي ، لا غالب إلا .. التار !)

اللوحة الدائمة الخطوط ، والواهيّة الخيوط :
لعاشقٍ يحترقُ الأجفانَ
كان اسمه « سرحان »
يمسكُ بندقيّةً .. على شفا السُّمُوطِ
نقش

(بيني وبين الناسِ تلك « الشَّعْرة »
لكن من يقبضُ فوقَ الثَّورَةِ
يقبضُ فوقَ الجَمْرَةِ !)

يبعون لسيارات أصحاب الملايين .. الرياحين
وفي « المترو » يبيعون الدبايس و « يس »
وينسلون في الليل يبيعون « الجعارين »
لأفواج الغزاة السائحين !

... ..
هذه الأرض التي ما وَعَدَ اللهُ بها ..
مَنْ خرجوا من صُلْبِهَا ..
وانفروا في تربها ..
وانظروا في حُبها ..
مُسْتَشْهِدِينَ !
... ..
فادخلوها « بسلام » آمين !!

« خاتمة »

آه .. من يُوقَفُ في رأسى الطواحين ؟
ومن يَنْزَعُ من قلبى السكاكين ؟
ومن يقتل أطفالى المساكين ..
لئلا يكبروا في الشَّقَى المروشة الحمراء
خدّامين ..
مأبونين ..
قوادين ..
من يقتل أطفالى المساكين ؟
لكيلا يصبخوا — في الغد — شحاذين ..
يستجدون أصحاب الدكاكين
وأبواب المرايين

مقتل كليب « الرصايا العشر »

.. فنظر « كليب » حوالبه وتحسر ، وذرف دمعاً وتعبّر ، ورأى
عيداً واقفاً فقال له : أريد منك يا عبد الخير ، قبل أن تسلبني ، أن
تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير ، لأكتب وصيتي
إلى أخي الأمير سالم الزبير ، فأوصيه بأولادي وقلدة كبدى ..

فسحبه العبد إلى قرب البلاطة ، والرمح غارس في ظهره ، والدم
يقطر من جنبه .. فغمس « كليب » إصبعه في الدم ، وخطّ على
البلاطة وأنشأ يقول ..

قصة الأمير سالم الزبير

وكانكما

ما تزالان طفلين !

تلك الطمأنينة الأبدية بينكما :

أن سيفان سيفك ..

صوتان صوتك

أنتك إن مت :

للبيت ربُّ

ولللطفل أب .

هل يصيرُ دمي — بين عينيك — ماءً ؟

أتنسى ردائي الملطَّخ ..

تلبسُ — فوق دماي — ثياباً مطرزةً بالقصب ؟

إنها الحربُ !

قد تنقلُ القلبَ ..

لكن خلفك عازَ العرب .

لا تصالح ..

ولا تتوخَّ الهربُ !

لاتصالح

(١)

لاتصالح !

.. ولو منحوك الذهبُ

أترى حين أفقاً عينيك ،

ثم أثبتُ جوهريين مكانهما ..

هل ترى .. ؟

هي أشياء لا تشتري .. :

ذكرياتُ الطفولة بين أحيك وبينك ،

حسكُما — فجأةً — بالرجولة ،

هذا الحياءُ الذي يكبُّ الشوقَ .. حين تعانقهُ ،

الصمتُ — مبتسمين — لتأنيب أمكما ..

(٢)

لاتصالح على الدم .. حتى بدم !
لاتصالح ! ولو قيل رأس برأس ،

أكل الرأس سواء ؟ !

أقلب الغريب كقلب أخيك ؟ !

أعيناه عينا أخيك ؟ !

وهل تتساوى يد .. سيفها كان لك

ييد سيفها أنكلك ؟

سيقولون :

جناك كى تحقن الدم ..

جناك . كن — بأمر — الحكم

سيقولون :

ها نحن أبناء عم

قل لهم : إنهم لم يُراعوا العمومة فيمن هلك .

واغرس السيف في جبهة الصحراء ..

إلى أن يجيب القدم .

إننى كنت لك .

فارساً .

وأخاً .

وأباً .

ومليك !

(٣)

لاتصالح ..

ولو حرمتك الرقاد

صرخات الندامة .

وتذكر ..

(إذا لأن قلبك للنسوة اللابسات السوداء ولأطفالهن الذين

تخاصمهم الابتسامة)

أن بنت أخيك « الجمامة »

زهرة تسريل — فى سنوات العيبا —

بثياب الحداد .

كنت ، إن عدت :

تعدو على درج القصر ،

تمسك ساقى عند نزولى ...

فأرفعها — وهى ضاحكة —

فوق ظهر الجواد .

ها هي الآن .. صامتة .

حرمها يدُ الغدير :

من كلماتِ أيها ،
أرتداءِ الثياب الجديدة ،

من أن يكون لها — ذات يوم — أخ !

من أب يتبسّم في عرسها ..

وتعود إليه إذا الزوجُ أغضبها ..

وإذا زارها .. يتسابق أحفاده نحو أحضانها ،

لينالوا الهدايا ..

ويهلوا بلحيته (وهو مستسلم)

ويشعلوا العمامة .

لا تصالِح !

فما ذنبُ تلك اليمامة

لترى العرشَ محترقاً .. فجأةً ،

وهي تجلس فوق الرماذ ؟ !

(٤)

لاتصالِح

ولو تُوجوك بتاج الإمارة .

كيف تخطو على جثة ابن أهلك .. ؟

وكيف تصيرُ المليك ..

على أوجهِ البهجة المستعارة ؟

كيف تنظر في يد من صافحوك ..

فلا تبصر الدم ..

في كل كَف ؟

ان سهماً أتانى من الخلف ..

سوف يبيئك من أليف تخلف .

فالدُم — الآن — صار وساماً وشارة .

لاتصالِح ،

ولو تُوجوك بتاج الإمارة

إن عرشك : سيفٌ

وسيفك : زيفٌ

إذا لم تزن — بذؤابته — لحظاتِ الشرف

واستطببت — الترف

لاتصالح

ولو قال مَنْ مال عند الصدام

« .. ما بنا طاقةً لامتشاق الحسام .. »

عندما يملأ الحق قلبك :

تندلع النار إن تَنفَسَ

ولسان الخيانة يخرس -

لاتصالح ،

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام .

كيف تستنشق الرثان السيم المدنس ؟

كيف تنظر في عيني امرأة ..

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها ؟

كيف تُصبح فارسها في الغرام ؟

كيف ترجو غداً .. لوليد ينام

— كيف تحلم أو تغنى بمستقبل لغلام

وهو يكبر — بين يديك — بقلب منكس ؟

لا اتصالح

ولا تفتسم مع من قتلوك الطعام .

وأرو قلبك بالدم ..

وأرو التراب المقدس ..

وأرو أسلافك الراقدين ..

الى أن ترد عليك العظام !

(٦)

لاتصالح ،

ولو ناشدتك القبيلة

باسم حزين « الجليلة »

أن تسوق الدهاء ،

وتبدي — لمن قصدوك — القبول .

سيقولون :

ها أنت تطلب ثأراً يطول .

فخذ — الآن — ما تستطيع :

قليلاً من الحق ..

فى هذه السنوات القليلة .

إنه ليس ثأرك وحدك ،

لكنه ثأر جيل فجيل .

وعدا ..

سوف يولد من يلبسُ الدرعَ كاملةً ،
يوقد النارَ شاملةً ،
يطلبُ النارَ ،
يستولد الحقُّ ،
من أضلح المستحيل .

لا تصالُح ،

ولو قيلَ إن الصالِحَ حيلةٌ .
إنه النارُ .

تهبُّ شعلتهُ في الضلوعِ ..
إذا ما توالَّت عليها الفصولُ ..

ثم تبقى يدُ العارِ مرسومةً (بأصابعها الخمس)
فوق الجباهِ الذليلة ! .

(٧)

لا تصالُح ، ولو حذرتكُ النجومُ
ورمى لكُ كهانها بالنبأ ..
كنتُ أغفرُ لو أني ميتٌ ..

ما بين خيطِ الصوابِ وخيطِ الخطأ .
لم أكن غازياً ،
لم أكن أنسلُّ قربَ مضارِبهمُ
أو أحومُ وراءَ التخومِ
لم أمدَّ يداً لئارِ الكرومِ
أرضَ بستانِهم لم أطأ
لم يصيحُ قاتلي في : « اتَّيبه ! »
كان يمشى معي ..
ثم صافحني ..
ثم سار قليلاً
ولكنه في الغصونِ أختبأ !
فجأةً :
تقبَّضتني فُشغريهُ بين ضلعين ..
واهتزَّ قلبي - كفقاعةٍ - وانفدأ .

وتحاملتُ ، حتى احتلمتُ على ساعدِي
فرايتُ : ابنَ عمي الزنيمِ
واقفاً يتشفي بوجهِ ليمِ

ليقتلني بمشيئته

ليس أنبل متى .. ليقتلني بسكينتيه ،
ليس أمهر متى .. ليقتلني باستدارته الماكرة

لا تصالِح ،

فما الصلح إلا معاهدة بين نذنين ..

(في شرف القلب)

لا تُتَّقَصِرْ

والذي اغتالني محض لصر

سرق الأرض من بين عيني

والصمت يُطلق ضحكته الساخرة !

(٩)

لا تصالِح ،

ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ ،

والرجال التي ملأها الشروخ ،

هؤلاء الذين يُحبون طعم الثريد ،

وامتطاء العبيد ،

لم يكن في يدي حرية ،

أو سلاح قديم ،

لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الظماً .

(٨)

لا تصالِح ،

إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة :

النجوم .. لميقاتها

والطيور .. لأصواتها

والرمال .. لذراتها

والقتيل لطفاته الناظرة .

كل شيء تحطم في لحظة عابرة :

الصبأ - بهجة الأهل صوت الحصان - التعرف بالضييف - مهممة

القلب حين يرى برعماً في الحديقة يندى - الصلاة لكي ينزل المطر

الموسمى - مراوغة القلب حين يرى طائر الموت

وهو يرفرف فوق المباراة الكاسرة .

كل شيء تحطم في نزوة فاجرة .

والذي اغتالني : ليس رباً ..

هؤلاء الذين تدلّت عمائمهم فوق أعينهم ،
وسيوفهم العريضة قد نسيبت سنوات الشموخ
لا تصالّح ،

فليس سوى أن تزيّد .

أنت فارسُ هذا الزمانِ الوحيدِ

وسواك .. المسوخ !

((١٠))

لا تصالّح

لا تصالّح !

« فلما جاءتة الوفود ساعية الى الصلح ، قال لهم الأمير سالم
أصالح اذا صالحت اليمامة . فقصدت الى اليمامة أمها الجليلة ومن معها
من نساء سادات القبيلة ، فدخلن اليها ، وسلمن جميعا عليها ، وقبل
الجليلة بنتها وقالت : أما كفى ؟ فقد هلكت رجالنا وساعت أحوالنا
وماتت فرساننا وأبطالنا . فأجابتها اليمامة : أنا لا أصالح ، ولو لم يبق
أحد يقدر أن يكافح .. »

نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٧٦

هِيَ الشَّمْسُ ، تَلَكُ الَّتِي تَطْلُعُ الْآنَ ؟
 أَمْ أَنَّهُا الْعَيْنُ - عَيْنُ الْقَتِيلِ - الَّتِي تَتَأَمَّلُ شَاخِصَةً :
 دَمَهُ يَتَرَسَّبُ شَيْئاً فَشِيشاً ..
 وَيَخْضُرُّ شَيْئاً فَشِيشاً ..
 فَتَطْلُعُ مِنْ كُلِّ بَقْعَةٍ دَمٌ : فَمُ قَرْمِزِي ..
 وَزَهْرُهُ شَرٌّ ..

وَكَفَّانِ قَابُضَتَانِ عَلَى مَنْجِلٍ مِنْ حَدِيدٍ ؟
 هِيَ الشَّمْسُ ؟ أَمْ أَنَّهُا النَّجْمُ ؟
 هَذَا الَّذِي يَتَنَقَّلُ فَوْقَ الرُّؤُوسِ إِلَى أَنْ يَعُودَ
 إِلَى مَفْرَقِ الْفَارِسِ الْعَرَبِيِّ الشَّهِيدِ ؟

... ..

أَقُولُ لَكُمْ : أَيُّهَا النَّاسُ كُونُوا أَنَاساً !
 هِيَ النَّارُ ، وَهِيَ اللِّسَانُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْحَقِّ !
 إِنَّ الْجُرُوحَ يَطَّهَرُهَا الْكَبِيُّ ،
 وَالسِّيفَ يُصْقِلُهُ الْكَبِيرُ ،
 وَالخَبَرَ يُنْضِجُهُ الْوَهْجُ ،

أَبِي .. لَا مَزِيدَ !
 أَرِيدُ أُنِي ، عِنْدَ بَوَابِ الْقَصْرِ ،
 فَوْقَ حِصَانِ الْحَقِيقَةِ ،
 مُنْتَصِباً .. مِنْ جَدِيدٍ

...

وَلَا أَطْلُبُ الْمُسْتَحِيلَ ، وَلَكِنَّهُ الْعَدْلُ :
 هَلْ يَرِثُ الْأَرْضَ إِلَّا بَنُوهَا ؟
 وَهَلْ تَتَنَاسَى الْبَسَاتِينُ مِنْ سَكْنُوهَا ؟
 وَهَلْ تَتَنَكَّرُ أَغْصَانُهَا لِلْجَنْدُورِ ..
 (لِأَنَّ الْجَنْدُورَ تَهَاجَرُ فِي الْأَتِّجَاهِ الْمَعَاكِسِ ! ؟)
 هَلْ تَتَرْتَّمُ قِيَارَةُ الصَّمْتِ ..

إِلَّا إِذَا عَادَتِ الْقَوْسُ تَنْدَرُغُ أَوْتَارَهَا الْعَصِييَّةُ ؟
 وَالصُّلْرُ ! حَتَّى مَتَى يَتَحَمَّلُ أَنْ يَجْبَسَ الْقَلْبُ ..
 قَلْبِي الَّذِي يَشْبَهُ الطَّائِرَ الدَّمَوِيَّ الشَّرِيدَ ؟

... ..

لاتدخلوا معمدانية الماء ...

بل معمدانية النار ..

كوئوا لها الحطب المشتهى والقلوب : الحجارة ،

كوئوا .. الى أن تعود السماوات زرقاء ،

والصحراء بتسولا ..

تسير عليها النجوم محملة بسلال الورود .

... ..

أقول لكم : لا نهاية للدم ..

هل في المدينة يضرب بالبوق ، ثم يظل الحرس

على سرير النوم ؟

هل يرفع الفتح من ساحة الحقل .. حتى تطمئن العاصف

ان الحمام المطوق ليس يقدم بيضته للثعابين ..

حتى يسود السلام

فكيف أقدم رأس أى ثمناً ؟

من يطالبني أن أقدم رأس أى ثمناً .. لتمر القوافل آمنة

وتبيع بسوق دمشق : حبراً من الهند ،

أسلحة من بخارى

وتبتاع من بيت جبال العبيد ؟

« مرآة الإمامة »

صار ميراثنا في يد الغرياء .

وصارت سيوف العدو : سقوط منازلنا .

نحن عباد شمس يشير بأوراقه نحو أزقة الظل .

إن التويج الذى يتناول :

يخرق هامته السقف ،

يخرق قامته السيف ،

إن التويج الذى يتناول :

يسقط في دمه المنسكب !

نستقى — بعد خيل الأجناب — من مياه أبارنا .

صوف حملاننا ليس يلتف إلا على مغزل الجزية .

النار لاتوهج بين مضاربتنا .

بالعيون الخفيضة نستقبل الضيف .

أبكارنا نيبات ..

وأولادنا للفراش ..

ودراهمنا فوقها صورة الملك المُقتصب .

أبداى الصبايأ الخنائن تضم على صدره نصف ثوب .
وتبقى عيون كليپ مسمرة في شواشى الجنائن .

أسائل :

من للصغار الذين يطرون — كالتخليل — فوق التلال ؟
ومن للعذارى اللواتى جعلن القلوب :
قوارير تحفظ رائحة البرتقال ؟

ومن سيروض مُهر الخيال ؟

ومن سيضمّد — في آخر الصيد — جرح الغزال ؟
ومن للرجال ..

إذا قيل « ما نسب القوم » ؟ ...

فانسكبت في خلود الرمال دموع السؤال ؟
بنات أبى — الزهراء الصغيرات — يسألننى

لم أبكى أبى !

ويمكن مثل ،

ويخلدن للتوم حين أغالب دمعى ،

وأروي هن الحكايا

عن المليك النسر

والملك الثعلب

فإن بمن .. جاء أبى .. ليهز الأراجيح ..

يلمس وجناتهن ..

ويعطى هن اللعب ..

ويمضى .. وعيناه مسبلتان ..

وساقاه تشتكيان التعب ..

أبى ظامىء يارجال

أريقوا له الدم كى يرتوى .

وصبوا له جرعة جرعة في الفؤاد الذى يكتوى

عسى دمه المتسرب بين عروق النباتات ،

بين الرمال ..

يعود له قطرة قطرة ..

فيعود له الزمن المنطوى .

.....

خصومة قلبي مع الله .. ليسَ سواه
أبى أخذَ المُلْكُ سيفاً لسيف ، فهل يُؤخذُ المُلْكُ
منهُ اغتيالاً ،

وقدَ كللتهُ يدا الله بالنَّاج ؟ !

هل تنزع النَّاج إلا اليدانِ المباركتين ،

وهل هانَ نأموسهُ في البيَّة

حتى يتوجَّ لصُ .. بما سرقتهُ يدهُ ؟

خصومة قلبي مع الله ..

إني أنزهَ سهمَ منيته أن يجيء من الخليف ،

إن الذي يُطلقُ السهمَ ليسَ هو القوس ..

بل قلبُ صاحبه ،

والذي يجعلُ النفسَ تستقبلُ الموتَ راضيةً .. تُبلى واهبه .

فأنا أرفضُ الموتَ غدرًا ..

فهل نزلَ الله عن سهمه الذهبى لمن يستهينَ به .

هل تكونُ مكانَ أصابعه .. بصماتُ الخطاه ؟

خصومة قلبي مع الله .. ليسَ سواه !

كليب يموت ..

ككليب تصادفه في الفلاة ؟

إذن فلماذا كسا وجههُ الصورةَ الآدمية ؟

هل كرمَ الله أنسائه ؟

مات من مات كلباً .. فأين إذن ذهبَ الآدمى الذى

قد براهُ ؟

خصومة قلبي مع الله

قلبي صغيرٌ كفتقه الحزين .. لكنهُ في الموازين

أثقلُ من كفةِ الموتِ

هل عرفَ الموتُ فقدَ أبيه ،

هل اغترفَ الماءَ من جَنولِ الدَّمع ،

هل لبسَ الموتُ ثوبَ الحِدادِ الذى حاكهُ .. ورماهُ ؟

خصومة قلبي مع الله

أين وريثُ أبى ؟

ذهبَ المُلْكُ ،

لكن لاسمِ أى حق أن يتناقله أبته عنه

فكيف يموتُ أبى مرتين ؟

أيتها الأنجمُ المتلونة الوجه :

قولى له :

قد سلبت حياتين ..

أبقى حياه ..

ورد حياه ..

خصومة قلبي مع الله .

هذا الكمال الذى خلق الله هيأته ،

فكسا العظم بالذبح ،

ها هو : جسماً — يعود له — دون رأس ،

فهل تقبل بواب النيب ما شابه العيب ،

أم أن وجه العدالة :

أن يرجع الشلو للأصل ،

أن يرجع البعد للقبل ،

أن ينهض الجسد المتمزق مكتمل الظل

حتى يعود إلى الله .. متحداً فى بهاء ؟

(٣)

يجىء أخسى

هل عباة الریح ؟

هل سيفه البرق ؟

هل يتمنطق فوق جواد السحاب ؟

يجىء أخسى !

غافلاً عن كتاب المواريت

عن دمو الملكى ،

عن الصولجان الذى صار مقبضه العاج :

رأس غراب !

يجىء أخسى .

(كان يعرفه القلب !)

أقذف تفاحة

يتصدى لها وهو يطحنها بالركاب !

(هى الخطأ البشرى الذى حرم النفس فردوسها

الأول المستطاب)

أتنى ، فأقذف تفاحة ..

تستقر على رأس حريته !

(أيها الوطن المستدير .. الذى تنقب الحرب عذرتة

بالحراب)

.. وتفاحة تلتقفها يده !

(هى جوهرة الملك ،

جوهرة العذل ،

جوهرة الحب ..
فالحبُّ أب !

... ..

قلوبٌ ثلاثيةٌ شارةُ الزمن القادمِ المستجابِ
قفوا يا شباب !

لَمَنْ جاءَ من رجمِ الغيبِ ،
تَحاضُّ بساقيه في بركةِ الدمِ ،
لم يتناثر عليه الرشاشُ ،
ولم تيدُ شائبةٌ في الثيابِ !
قفوا للهلال الذي يستديرُ ..

ليصبحَ هالات نورٍ على كل وجهٍ وبابٍ !
قفوا يا شباب !
كليبٌ يعودُ ..

كعنقاءٍ قد أحرقت ريشها
لتظلل الحقيقة أهبى ..

وترجع حلتها - في سنا الشمس .. أزهى ..
وتفرد أجنحة الغد ..
فوق مدائن تنهض من ذكريات الخراب !!

« أشارات تاريخية »

البسوس :

هي المرأة التي أثارت الفتنة بين قيس ، وأشعلت الحرب أربعين سنة ، وأثارت بنى بكر على بنى تغلب ، وحملت اسمها الملحمة . وهو كما تقول الرواية (شاعرة عجزت من عجائب الزمان ، ذات مكر واحتيال وخداع) . وكان لها أربعة أسماء (سعاد .. تاج بخت .. هند . البسوس) وهي أخت الملك حسان اليماني الذي قتله الأمير كليب مر أجل أبنه عمه وخطيبته الجليلة .

كليب بن ربيعة :

اسمه واثل وكليب لقبه ، نشأ في حجر أبيه ، ودرب على الحرب ، ثم تولى قيادة الجيش لبكر وتغلب زمنا .. « فكان ليث الصدام وزينة اللبالي كما تقول الرواية .

ليلة بنت مرة :

شاعره .. أبنة عم كليب وزوجته التي انجبت له سبعة بنات
ولد بعد موته هو (المهجرس) البطل المنتقم لأبيه .

وبعد مقتل زوجها كليب على يد أخيها جساس خرجت من
نغلب وتنقلت مع بني شيبان قومها مدة حروبهم حتى ماتت .

سامة :

كبرى بنات كليب .. تقول الرواية انها رفضت الدية في أيما

ثأنت تقول :

« أنا لا أصالح حتى يقوم والسدى

ونسراه راكب يريد لقاكم »

وقد اختصمت مع امها لانها أخت قاتل كليب .. حتى رحل
الجليلة مع قومها .

عندما أعلنته الإمامة وصية أبيها قال : انى لا اصالح الى الابد ما
دامت روحي في هذا الجسد .

ساس بن صرة :

ابن عم لكليب وقاتله بعد ان نجحت البسوس (التي اقامت في
يافته) في أن تثير الفتن : بأن أمرت عبيدها أن يطلقوا ناقتها الجرباء
فى فى البستان المعروف بحى كليب . وتدمر الأشجار والاسوار ..
نى أمر كليب بذبح الناقة . ويقال أن جساسا هو آخر قتيل فى
رب البسوس التى استمرت منذ مقتل كليب وحتى مصرع جساس
مبن عاما .

لهل بن ربيعة :

هو سالم الملقب بالزير أو أبو ليلى المهلهل الكبير .. أخو
يب وبطل السيرة والملحمة .. يصفه الرواه : (بالاسد الكرار والبطل
المغوار صاحب الاشعار البديعة والوقائع المهولة المرعبة) .

شهادة جلييلة بنت مرة الممزقة بين البطالين .. « زوجها وأختها » ثم أتيت
بشهادات لبعض الشخصيات التي تلعب دورا معلقا على
الأحداث ..

أمل دنقل

عن مجلة آفاق عربية ١٩٨١

« تذييل »

« حاولت أن أقدم في هذه المجموعة حرب البسوس التي استمرت
أربعين سنة عن طريق رؤيا معاصرة .

وقد حاولت أن أجعل من كليب رمزا للمجد العربي القليل
للأرض العربية السليبية التي تريد أن تعود الى الحياة مرة أخرى ولا تترك
سيلا لعودتها أو بالأحرى لاعادتها الا بالدم .. وبالدم وحده ..

وهذه المجموعة عبارة عن قصائد مختلفة ، استحضرت
شخصيات الحرب وجعلت كلا منها يدلى شهادتها التاريخية حول رؤيتها
الخاصة .. ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الشخصيات شهادتها
الاختلفة عن شهادة الأخرى ..

لقد استحضرت الملك كليب نفسه في ساعاته الأخيرة ، وأدلت
اليمامة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها وكذلك فعل المهلهل الذي
قاد الحرب انتقاما له .. وقدمت شهادة جساس مع تبريراته لجرمته ثم

والديوان بصورته: الأخيرة هذه .. محتوية على شهادتين أو
قصيدتين فقط هما : « الوصايا العشر ، وأقوال الإمامة ومراثيها » وقد
كُتبت قصائده ما بين (١٩٧٦ — ١٩٧٧) .

أما الشهادات (القصائد) الأخرى التي تحدث عنها أمل فقد
ظلت تتبدل وتتغير يوماً بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقنع
الشاعر باكتمالها النهائي ، ذلك على الرغم من اكتمال اجزاء كثيرة منها في
ذاكرة الشاعر (الذي لا يسجل قصيدته على الورق إلا بعد أن يقنع
باكتمالها الأخير)

ومات أمل قبل أن تكتمل شهاداته (قصائده) في ذم
المبدع ، وقيل أن يقنع ذهنه المبدع بصيغه ابداعية أخيرة ، وقيل أن
ينتقم الزهر لمقتل أخيه كليب ، وقيل أن تضيع الحروب اوزارها ، لتظل
الرؤيا باحثة عن حل يكتمل في الابداع ، أو يتحقق في الواقع .

* * *

أوراق الغرفة [٨]

تذوية لوقه بوضحة
 رقم ١
 رقم ١

عم صباحاً أيها الصقر المَجَنِّح
 عم صباحاً .
 سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .
 فمتى يقبل موتى ..
 قبل أن أصبح - مثل الصقر -
 صقراً مستباحاً ؟!

بكاتية لصقر قريش

الورقة الأخيرة
الجنوبي

سورة

هل أنا كنت طفلاً ..
أم ان الذى كان طفلاً سوى ؟
هذه الصورُ العائليَّةُ ..
كان أبى جالساً ، وأنا واقفٌ .. تتدلى يداى !

رفسةً من قَرَسٍ
فركت في جبينى شجأ ، وعلمت القلب أن يحترس .
أتذكرُ ...
سال دمي
أتذكرُ ..
مات أبى نازفاً .

أتذكرُ ..
هذا الطريقَ إلى قبره ..
أتذكرُ ..
أختى الصغيرةَ ذات الريعين .
لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها
المنطمسَ

أو كان الصبيُّ الصغيرُ أنا ؟
أم ترى كان غيرى ؟
أحدقُ ..

لكن تلك الملايح ذات العنوية .
لا تنتمى الآن لى .
والعيون التى تترقرق بالطيبة
الآن لا تنتمى لى .
صرتُ عنى غريبا .
ولم يتبق من السنوات الغريبة
إلا صدى اسمى ..

وأسماء من أتذكّزهم — فجأة —

بين أعمدة النعي ،

أولئك الغامضون : رفاق صباى .

يقبلون من الصمت وجهاً فوجها ..

فيجتمع الشمل كل صباح ،

لكى نأتس .

وجه

كان يسكن قلبى

وأسكن غرفته

نتقاسم نصف السرير ،

ونصف الرغيف ،

ونصف اللقافة ،

والكتيب المستعارة .

هجرته حبيبته فى الصباح فمزق شريانه فى المساء ،

ولكنه بعد يومين مزق صورتها ..

واندهش .

لم ينخدش .

واستراح من الحرب ..

عاد ليسكن بيتا جديداً

ويكسب قوتا جديداً

يدخن علبة تبغ بكاملها

ويجادل أصحابه حول أنجرة الشاى ..

لكنه لا يطيل الزيارة .

عندما احتقنت لوزتاه ، استشار الطبيب ،

وفى غرفة العمليات ..

لم يصلح أحداً غير تحف ..

وأنبوبة لقياس الحرارة ،

فجأة مات !

لم يحتمل قلبه سريان المخدر ،

وانسحبت من على وجه سنوات العذابات ،

عاد كما كان طفلاً ..

صار نصف الصحيفة كل الغطاء
وأنا .. في العراء

وجه

ليت « أسماء » تعرف أن أبها صعد
لم يمض
هل يموت الذي كان يحيا
كأن الحياة أبد !
وكان الشراب نفذ !
وكان النبات الجميلات يمشين فوق الزبد !
عاش منتصباً ، بينا
ينحنى القلب يبحث عما فقد .
ليت « أسماء » تعرف أن أبها الذي ..
حفظ الحب والأصدقاء تصاويره : .
وهو يضحك ،

يشاركني في سريري
وفي كسرة الخبز ، والتبغ ،
لكنه لا يشاركني .. في المرارة !

وجه

من أقاصي الجنوب أتى ، عاملاً
للبناء
كان يصعد « سقالة » ويفنى لهذا الفضاء
كنت أجلس خارج مقهى قريب ،
وبالأعين الشاردة ..
كنت أقرأ نصف الصحيفة ،
والنصف أخفى به وسخ المائدة .
لم أجد غير عيينين لا تبصران ..
وحيط الدماء .
وانحنيت عليه .. أجز يده
قال آخر : لا فائدة

قنينة الخمر - والآلة الحاسبة .
- سوف آتيك بالثلج منه .
وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ...
فلم أستبته .

بعدها لم أجد صاحبي
لم يعد واحد منهما لي بشئ
- هل تريد قليلاً من الصبر ؟
- لا ..

فالجنوى يا سيدي يشتهي أن يكون الذي لم يكننا
يشتهي أن يلاق اثنتين :
الحقيقة - والأوجه الغائبة .

وهو يفكر ،
وهو يفتش عما يقيم الأوذ .
ليت « أسماء » تعرف أن البنات الجميلات ..
تخبأنه بين أوراقهن ،
وعلمته أن يسير ..

ولا يلتقي بأحد !

مرآة

هل تريد قليلاً من البحر ؟
- إن الجنوى لا يطمنن إلى اثنين يا سيدي :
البحر - والمرأة الكاذبة .
- سوف آتيك بالرمل منه
... وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ،
فلم أستبته
- هل تريد قليلاً من الخمر ؟
- إن الجنوى يا سيدي يتهب شيئين :

يَأْتِي المَعْرُونُ مَتَشَحِين ..

بشارات لون الحداد ؟

هل لأن السواد ..

هو لونُ النجاة من الموت ،

لون التَّيْمَةِ ضد .. الزمن ،

ضد من .. ؟

ومتى القلب — في الخفقان — اطمأن !؟

بين لونين : أستقبل الأصدقاء ..

الذين يرون سريري قبراً

وحياتي ... دهرًا

وأرى في العيون العميقة

لونَ الحقيقةِ

لونَ ترابِ الوطنِ !

ضد من

في غُرفِ العمليات ،

كان نقابُ الأطباءِ أبيض ،

لونُ المعاطفِ أبيض ،

تاجُ الحكيماتِ أبيض ، أوديةُ الراهباتِ ،

الملاءاتُ ،

لونُ الأسرةِ ، أربطةُ الشاشِ والقطنِ ،

قرصُ النومِ ، أنبوبةُ المصلِ ،

كوبُ اللبنِ .

كُلُّ هذا يشيعُ بقلبي الوهنِ .

كل هذا البياض يذكّرني بالكفنِ !

فلماذا إذا متُّ ..

ثم أفاقت على عَرَضِها في زجاج الدكاكين ، أو بين أيدي
المنادين ،

حتى اشترتها اليدُ المتفضلة العابرةُ

تتحدث لى ..

كيف جاءت لى ..

(وأحزائها الملكيةُ ترفع أعناقها الخضر)

كى تتمنى لى العمر !

وهى تجود بأنفاسها الآخرة !!

كلُّ باقة ..

بين إغماءة وإفاقة

تتنفس مثلى — بالكاد — ثانية .. ثانية

وعلى صدرها حَمَلت — راضية ..

اسمَ قاتلها في بطاقة !

زهور

وسلايل من الورد ،

ألمحها بين إغماءة وإفاقة

وعلى كل باقة

اسمُ حاملها في بطاقة

... ..

تتحدث لى الزهراء الجميلة

أن أعينها اتسعت — دهشة —

لحظة القطيف ،

لحظة القصيف ،

لحظة إعدامها في الخميعة !

تتحدث لى ..

أنها سقطت من على عرشها في البساتين

فالتصقت بي أضلاعه

والجماد يضم الجماد ليحييه من مواجهة الناس !

صيرت أنا والسريز ..

جسداً واحداً .. في انتظار المصير !

(طول الليالي الألف

والأذعة المعدن

تلتف وتمكن

في جسدي حتى النزف

صيرت أقدر أن أتقلب في نومي واضطجاعي

أن أتحرك نحو الطعام ذراعي ..

واستبان السريز خداعي ..

فارتعش !

وتداخل — كالتنفيذ الحجري — على صمته وانكمش

قلت : يا سيدي .. لم جافيتني ؟

قال : ها أنت كلمتني ..

وأنا لا أجيّب الذين يمرون فوق

السريز

أوهوني بأن السريز سريز !

أن قارب « رغ »

سوف — يحملني عبر نهر الأفاعي

لأولد في الصبح ثانية .. إن سَطَعَ

(فوق الورق المصقول

وضعوا رقمي دون اسم

وضعوا تذكرة الدم

واسم المرض المجهول)

أوهوني فصَدَّقْتُ ..

(هذا السريز

ظنني — مثله — فاقد الروح

سوى بالانين

فالأسرّة لا تستريح إلى جسد دون آخر
الأسرّة دائمة

والذين يتأمون سرعان ما ينزلون

نحو نهر الحياة لكي يسبحوا

أو يغوصوا بنهر السكون !

في الميادين يجلس ،

يطلق — كالطفل — نبلته بالحصي ..

فيصطبه بها من يصيب من السابلة !

يتوجه للبحر ،

في ساعة المد :

يطرح في الماء سنارة الصيد ،

ثم يعود ..

ليكتب أسماء من علقوا

في أحابله القاتلة !

لا يحبُّ البساتين ..

لكنه يتسلل من سورها المتآكل ،
يصنع تاجاً :

جواهره .. الثمر المتعفن ،
إكليله .. الورق المتفضن ،
يلبسه فوق طوق الزهور

الخريفية
الذابلة !

يتحول : أفعى .. ونايا
فيرى في المرايا ::

جسدتين وقلبين متحدتين ،
(تَغِيمُ الزوايا
وتحكى العيون حكايا)
فينسل بينهما ..

مثل خييط من العرق المتفصّد ،
يلعق دفاً مسامهما ،

يفرسُ النَّابَ في موضع القلب :
تسقط رأسُ الفتى في الغطاء ،

وتبقى الفتاة ..

محدّقة

ذاهلة .. !

أمس : فاجأته واقفاً بجوار سريري

ممسكاً — بيد — كوب ماء

ويد — بحبوب الدواء

فتناولتها .. !

كان مبتسماً

وأنا كنت مستسلماً

لمصري !!

عن لذة الاغتراب
وعبودية الأغصن الثابتة .

(٢)

أخذوا أصدقاى للسنجن ،
لكنهم في ليالى الحنين
يقبلون ، لنشرب كأسين ..
في البار ذى الردهة الخالية
فاذا دقت الساعة الثانية

صفق الخدم المتعبون
فاختفى أصدقاى وهم يضحكون
— نلتقى ثانية
— نلتقى الليلة التالية ..

... ..

بعدها خرجوا : انقطع الخيط ما بيننا
واستطال السكون
كان ما بينهم : ذكريات .. وخبز مرير
ومسحة حزن

ديسمبر

(١)

تتساقط أوراق « ديسمبر » الباهتة !

... ..

هو عمّر من الريح
(هذا الذى بين أن تترك الورقة الغصن
حتى تلامس أطرافها حافة الأرض)
عمّر من الاضطراب
فافترشن جوارى — أيتها الباحثات عن الذات —
وجة التراب
وتعالين .. نرو الأفاصيص ..
عن راحة الروح

قلت : ها أصبحوا ورقا ثابتا في شجرة سجن
فمتى يفلتون
من الزمن المتوقف في ردهات الجنون ؟

(٣)

هاهو الرخُّ ذو المخيلين محومٌ ..
ليحمل جنة دبسميرِ الساخنة
ها هو الرخ يببط ..
والسحب تلقى على الشمس طرحتها الداكنة

قالت الراهبُ :

(سلامٌ على الأرض !)

يا أيها الرخُّ : كم جنة حملتها غنالك الأبدية خلف الجبل ؟؟
ما الذي نحن نعطيك — يا أيها الرخ — منذ الأزل ؟
ما الذي نحن نعطيك ؟
لا شيء إلا تواييت ، لا شيء ،
إلا المبادلة الخائبة .
جئتُ تترآكم في الضفة الساكنة

بينما نحن — نمتلك النور
عشبَ البحيرات — صوت الكناريا —
بجالسة الورد — أنشودة المهد — رقص
النبات الصغيرات في العرس — تمتمة
القط في الصلوات — محير النايح —
هذا التساؤل عن لون عينين عاشقتين ،
كنافذتين على البحر — طعم القبل ؛
بينما أنت من ظلمة العدم الآسنة
تلقى النفايات تلو النفايات دون كلل
عاجزا عن ملامسة الفرح العذب ،
عن أن تبل جناحك في مطر القلب
أن تتطهر بالرقة الفاتنة !!

(٤)

قلت للورق المتساقط من ذكريات الشجر
إنني أترك الآن — مثلك — بيتي القديم
حيث تلقى بي الريح أرسو —

وليس معي غير :

حزنى المقيم
وجواز السفر !

الطيور

(١)

الطيور مشردة في السموات ،
ليس لها أن تحط على الأرض ،
ليس لها غير أن تتقاذفها فلوأث الرياح !
ربما تنزل ...

كى تستريح دقائق ..
فوق النخيل — النجيل — التماثيل —
أعمدة الكهرباء —

حواف الشبايك والمشربيات
والأسطح الخرسانية .
(اهدأ ، ليلتقط القلب تنبيدة ،

والفم العذب تغريده ،

والقط الرزق ..)

سرعان ما تتفرغ ..

من نقلة الرجل ،

من نبلة الطفل ،

من ميالة الظل عبر الحوائط ،

من حصوات الصباح !

(٢)

والطيور التي أقعدتها مخالطة الناس ،

مرّت طمانينة العيش فوق مناسيرها ..

فانتحّت ،

وبأعينها .. فارتحّت ،

وارتضت أن تقاؤه حول الطعام المتأخ

ما الذي يبقى لها .. غير سكينه الذبيح ،

غير انتظار النهاية .

إن اليد الآدمية .. واهبة القمح

تعرف كيف تسن السلاح !

(٣)

الطيور .. الطيور

تحتوى الأرض جثمانها .. في السقوط الأخير !

والطيور التي لا تطير ..

ضوت الريش ، واستسلمت

هل ترى علمت

أن عمر الجناح قصير .. قصير !؟

الطيور معلقة في السموات

ما بين أنسجة العنكبوت الفضائي : للريح

مرشوقة في امتداد السهام المضيق

للشمس ،

(رفرِف ..

فليس أمامك —

والبشر المستبيحون والمستباحون : صاحون —

ليس أمامك غير الفراز ..

الفراز الذى يتجدد .. كل صباح !)

الخيول

(١)

الفتوحات — في الأرض — مكتوبة بدماء الخيول .
وحدود الممالك
رسمتها السنايك .
والركابان : ميزان عدل يميل مع السيف ..
حيث يميل !

.....
أركضى أو قفى الآن .. أينها الخيلُ :
لست المغيراتِ صُبْحًا
ولا العاديات — كما قيل — ضُبْحًا

الجنأُ حياة
والجنأُ ردى .
والجنأُ نجاة ..
والجنأُ .. سدى !

ولا خضرة في طريقك تمحي
ولا طفل أضحي

إذا ما مررت به .. يتنحي ؛

وها هي كوكبة الحرس الملكي ..
تجاهد أن تبعث الروح في جسد الذكريات

بدقِ الطبول .

اركض كالسلاحف

نحو زوايا المتاحف ..

صيرى تمائيل من حجر في الميادين

صيرى أراجيح من خشب للصغار — الرياحين ،

صيرى فوارس حلوى بموسمك النبوي ،

وللصبية الفقراء : حصاناً من الطين

صيرى رسوما .. ووهماً

تجف الخطوط به

مثلما جف — في رثيتك — الصهيل !

(٢)

كانت الخيل — في البدء — كالناس

برية تتراكم عبر السهول

كانت الخيل كالناس في البدء ...

تمتلك الشمس والعشب

والملكوت الظليل

ظهرها .. لم يُوطأ لكي يركب القادة الفاتحون ،

ولم يلمن الجسد الحر تحت سياط المروض

والفم لم يمثل للجم ،

ولم يكن الزاد .. بالكاد ،

لم تكن الساق مشكولة ،

والخوافر لم يك يتقلها السنبك المعدني الصقيل .

كانت الخيل برية

تنفس حرة

مثلما يتنفسها الناس

وفي ذلك الزمن الذهبي النبيل

° ° °

أركضى... أو قفى

زمن يتقاطع

واختبرت أن تذهبي في الطريق الذى يتراجع

تنحدر الشمس

ينحدر الأمل

تنحدر الطرق الجبلية للهوة اللانهائية :

الشهب المتفحمة

الذكريات التى أشهرت شوكرها كالفنائف

والذكريات التى سلخ الخوف بشرتها .

كل نهر يحاول أن يلمس القاع

كل النيايح إن لمست جدولاً من جداولها

تختفى

وهى .. لا تكتفى !

فارضى أو قفى

كل درب يقودك من مستحيل إلى مستحيل !

(٣)

الخيوول بساطاً على الريح ..

سار — على متنه — الناس للناس عبر المكان

والخيوول جداراً به انقسم

الناس صنفين :

صاروا مشاة .. وركبان

والخيوول التى انحدرت نحو هوة نسيانها

حملت معها جيل فرسانها

تركت خلفها : دمعة الندم الأبدى

وأشباح خيل

وأشباة فرسان

ومشاة يسرون — حتى النهاية — تحت ظلال الهوان .

أركضى للقرار

وارضى أو قفى فى طريق الفرار .

تساوى محصلة الرضى والرفض فى الأرض ،

ماذا تبقى لك الآن ؟

ماذا ؟

سوى عرق يتصبّب من تعبٍ

يستحيل دنائيرَ من ذهبٍ

في جيوب هُوَاةِ سلالاتك العربيةِ

في حلبات المراهنة الدائريةِ

في نزهة المركبات السياحيةِ المشتهاةِ

وفي المتعة المشتراةِ

وفي المرأة الأجنبيةِ تعلوكِ تحت

ظلال أبنى الهول ..

(هذا الذي كسرت انفهُ

لعنة الانتظار الطويل)

استدارت — إلى الغرب — مزولة الوقت

صارت الخيلُ ناساً تسيّرُ إلى هُوَاةِ الصمّت

بينما الناسُ خيّلُ تسيّرُ إلى هوة الموت !

جاء طوفانُ نوح !

... ..

المدينةُ تفرقُ شيئاً .. فشيئاً

تفرُّ العصافيرُ ،

والماءُ يعلو .

على درجات البيوت — الحوانيت — مبنى البريد — اليه

التمائيل (أجدادنا الخالدين) — المعابد — أجولة القمح

مستشفيات الولادة — بوابة السجن — دار الولاية —

أروقة الشكناط الحصينة .

العصافيرُ تجلو ..

رويداً ..

رويداً ..

ويطفو الإوزُ على الماء ،

يطفو الأثاث ..

ولعبة طفل ..

وشهقة أم حزينة

الصبايا يلوحن فوق السطوح !

ناء طوفان نوح .

أهم « الحكماء » يفرون نحو السفينة

المغنون — سائس خيل الأمير — المرابون —

قاضى القضاة

.. ومملوكه ! —

فامل السيف — راقصة المعبد

(ابتهجت عندما انتشلت شعرها المستعار)

— جباة الضرائب — مستوردو شحنات السلاح —

شقيق الأميرة في سمته الأتوى الصبوح !

ناء طوفان نوح .

أهم الجبناء يفرون نحو السفينة .

بنا كنت ..

كان شباب المدينة

يلجمون جواد المياه الجموح

ينقلون المياه على الكتفين .

ويستبقون الزمن

يبتنون سدود الحجارة

عَلَهُمْ ينقدون مهاذ الصبا والحضارة

عَلَهُمْ ينقدون .. الوطن !

.. صاح في سيد الفلك — قبل حلولي

السكينة :

« انج من بلد .. لم تعد فيه روح ! »

قلت :

طوبى لمن طعموا خبزه ..

في الزمان الحسن

وأداروا له الظهر

يوم المحن !

ولنا المجد — نحن الذين وقفنا

(وقد طمس الله اسماءنا !)

خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين

ها أنت تسترخي أخيراً ..
فودعاً ..
يا صلاح الدين .
يا أيها الطيبُ البدائيُّ الذي تراقصَ الموتى
على إيقاعِهِ المجنونِ .
يا قاربَ الفلّينِ
للغربِ الفرقِ الذين شتتَهُمْ سفنُ القراصنةِ .
وأدرِكتَهُمْ لعنةُ الفراعنةِ .
وسنةً .. بعد سنةً ..
صارت لهم « حطين » ..
تميمةَ الطفلِ ، واكسيرَ الغدِ العنيدِ

نتحدى الدمار ..
ونأوى إلى جبل لا يموت
(يسمونه الشعب !)

نأى الفرار ..
ونأى النزوح !

... ..
... ..
... ..

كان قلبي الذي نسجته الجروح
كان قلبي الذي لعنته الشروخ
يرقد — الآن — فوق بقايا المدينة
وردةً من عطن
هادئاً ..

بعد أن قال « لا » للسفينة
.. وأحبَّ الوطن !

(جبل التوباد حيَّك الحيا)
(وسقى الله ثرانا الأجنبي !)

مَرَّتْ خيولُ التُّركِ
مَرَّتْ خيولُ الشُّركِ
مَرَّتْ خيولُ الملكِ — النِّسرِ ،
مَرَّتْ خيولُ التترِ الباقينِ
ونحنُ — جيلا بعد جيل — في ميادين المراهنة
نموت تحت الأحصنة !
وأنت في المذيع ، في جرائد التهوينِ
تستوقف الفارين
تخطب فيهم صائحا : « حطين » ..
وترتدى العقالُ تارةً ،
وترتدى ملابس الغدائيينِ
وتشربُ الشاي مع الجنودِ
في المعسكرات الحشنةُ

وترفع الراية ،

حتى تسترد المدنَ المرتهنة
وتطلقُ النارَ على جوادك المسكينِ
حتى سقطت — أيها الزعيم
واغتالتك أيدي الكهنة !

(وطني لو شغلتُ بالخلدِ عنه ..)
(نازعتني — لمجلس الأمن — نفسي !)

ثمَّ يا صلاح الدين
ثمَّ .. تتدلى فوق قبرك الورودُ ..
كالمظليين !
ونحن ساهرزن في نافذة الخنينِ
نُقشِرُ التفاحَ بالسكينِ
ونسألُ الله « القروض الحسنة » !
فاتحةً :
أمين .

تصّر الرِيحُ ؛ وأضلاعك كالروض المصنوخ
تشهَى لذغة الشمس التي تنسج للدفعِ وشاحا !

أنت ذا باقٍ على الرايات مصلوبا .. مباحا

— « اسقني .. »

لا يرفع الجنْدُ سوى كوبِ دمٍ .. مازال يسفحُ !

— « اسقني .. »

— هاك الشرابَ النبويَّ ..

اشربهُ عذبا وقراحا

مثلما يشربه الباكونُ ..

والماشونُ في أنشودةِ الفقرِ المسلخِ !

— « اسقني .. »

لا يرفع الجنْدُ سوى كوبِ دمٍ مازال يسفحُ !

بيننا « السادةُ » في بوابةِ الصمتِ المملحِ

يتلقون الرياحا

ليلفوها بأطرافِ العباءاتِ ..

يدقوا في ذراعِها المساميرَ ..

بكاية لصقر قريش

عم صباحاً .. أيها الصقرُ المُجنحُ

عم صباحاً ..

هل ترقبتَ كثيرا أن ترى الشمسَ

التي تغسلُ في ماءِ البحيراتِ الجراحا

ثم تلهو بكراتِ الثلجِ ،

تستلقى على التربةِ ،

تستلقى .. وتلفحُ !

هل ترقبتَ كثيرا أن ترى الشمسَ .. لتفرخُ

وتسدَّ الأفقَ للشرقِ جناحا ؟

أنت ذا باقٍ على الراياتِ .. مصلوبا .. مباحا

وتبقى أنت

(ما بين خيوط الوشي)

زرّاً ذهبياً

يتأرجح !

وقف « الأعراب » في بوابة الصميت المملح

يشهرون الصلّف الأسود في الوجه سلاحا

ينقلون الأرض : أكياساً من الرمل .

وأكداساً من الظل

على ظهر الجواد العربي المترنح !

ينقلون الأرض ..

نحو الناقلات الراسيات — الآن — في البحر

التي تنوى الرواحا

دون أن تطلق في رأس الحصان

طلقة الرحمة ،

أو تمنحه بعض امتنان !

عِمْ صباحاً أيها الصقرُ المُجنّح

عِمْ صباحاً .

سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .

فمتى يقبل موتى ..

قبل أن أصبح — مثل الصقر —

صقراً مستباحاً !!

... ..

ربما ردت الريح — سيدتي — نصف رد

ضاع .. وابتلعت الرمال !

نحن جيل الحروب ..

نحن جيل السباحة في الدم ..

ألقت بنا السفن الورقية فوق ثلوج العدم

(قبضات القلوب —

وحدها — حطمتها .. ومازال فيها الأسى والندوب ..)

نحن جيل الألم

لم ترّ القدس إلا تصاوير

لم نتكلّم سوى لغة العرب الفاتحين

لم نتسلم سوى راية العرب النازحين ،

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص

مفاتيح باب فلسطين

فاشهد لنا ياقلم

أننا لم ننم

أننا لم نقف بين « لا » و « نعم »

قالت امرأة في المدينة

(١)

سيف جدي على حائط البيت .. يكي :

وصورته في ثياب الركوب !

(٢)

قالت امرأة في المدينة

من ذلك الأموي الذي يتباكى على دم عثمان !

من قال إن الخيانة تنجب غير الخيانة ؟

كونوا له يا رجال ..

أم تحبون أن يتفيا أطفالكم تحت

سيف ابن هند ؟

ما أقل الحروف التي يتألف منها اسمٌ ما ضاع من وطني ،
واسمٌ من مات من أجله

من أبح أو حبيب !
هل عرفنا كتابة أسمائنا بالمداد
على كتبِ الدرس ؟
ها قد عرفنا كتابة أسمائنا

بالأظافر في غرفِ الحبس
أو بالدماء على جيفة الرمل والشمس ،
أو بالسواد على صفحات الجرائد قبل الأخيرة .
أو بحداد الأرامل في ردهات (المعاشات) ،
أو بالغبائر الذي يتوالى على الصور
المنزلية للشهداء
الغبائر الذي يتوالى على أوجه الشهداء ..
إلى أن .. تغيب !!
قالت امرأة في المدينة :

من يمرُّ الآن أن يخفض العلمَ القرمزي
الذي رفعته الجماجم ،
أو يبيع رغيفَ الدم الساخن المتخثر فوق الرمال .

أو يمدّ يداً للعظام التي ما استكانت
(وكان رجلاً ..)

كفى تكونَ قوائمٌ سائدةٌ للتواقيع
أو قلماً
أو عصا في المراسم ؟
... ..

لم يجيبها أحدٌ ..
غيرُ سيفٍ قديمٍ ..
وصورةٍ جدٌ !

إلى محمود حسن إسماعيل
في ذكره

واحد من جنودك يا سيدى .
قطعوا يوم مؤتة منى اليدين
فاحتضنت لواءك بالمرفقين
واحتسبت لوجهك مستشهدى !

واحد من جنودك — يا أيها الشعر —
هل يصل الصوت ؟
(والريحُ مشدودةٌ بالمسامير !)
هل يصل الصوت ؟
(والعصافيرُ مرصودةٌ بالنواطير !)

هل يصل الصوت ؟
أم يصل الموت ؟
قل لى ، فإنى أناديك
من زمن الشعراء — الأناشيد
للشعراء — السجاجيد

من زمن الشعراء — الصعاليك
للشعراء — المماليك .
أرسم دائرة بالطباشير
لا أتجاوزها !

كيف لى ؟ وأنا أتمزق ما بين رُحَّين !
والقدمان معلقتان بفخين !
أعيانى الكرُّ والفرُّ
واجتازنى الخيرُ والشرُّ

أيسر . تيسرُ ، حتى تعسرُ ، حتى تعثُرُ .
أيمن . تيمنتُ ، حتى تيممتُ ، حتى تيمتُ .
أين المقرُّ ؟ وأين المقرُّ ؟
للخفافيش أسماؤها التى تتسمى بها !
فلمن تتسمى إذا انتسب النورُ !

والنورُ لا ينتمي الآن للشمس
فالشمسُ هالأتها تتحلّق فوق العقالاتِ .
هل طلع البدرُ من يربّ أم من الأحمدى ؟
وبانت سعادُ ..

تراها تبينُ من البردة النبوية
أم من قننسة الكاهنين الحَزْرُ ؟
واحدٌ من جنودك يا سيدي

ألف بيتٍ وبيت ..

واحتوتك الكويث !

فعرفت بموتك أين غدى !

واحدٌ من جنودك — يا أيها الشعرُ — !
كُلُّ الأحبية يرتحلون

فترحل شيئاً فشيئاً من العين ألفةً هذا الوطن
نتغربُ في الأرضِ . نصبحُ أغربةً في التآيين ننعى
زهورَ البساتين

لا تزقف في صحيفِ اليوم إلا أمام العناوين
مرؤها دون أن يظرف الجفنُ .

سرعان ما نفتح الصفحاتِ قبيل الأخيرة ،
ندخلُ فيها نجالسُ أحرفها ،
فتعود لنا ألفةُ الأصدقاء ، وذكرى الوجوه
تعود لنا الحبوبة ، والدهشة العَرَضِيَّةُ
واللونُ ، والأمنُ ، والحزنُ .

هذا هو العالمُ المتبقى لنا : إنه الصمتُ
والذكرياتُ ، السوادُ هو الأهلُ والبيتُ .

إن البياضَ الوحيدَ الذى نرتجيه
البياضَ الوحيدَ الذى نتوحدُ فيه :

بياضُ الكفن !

واحدٌ من جنودك يا سيدي
خبزه نُخبزُ ضيقُ
ماؤه بلُ رفيقُ

والماتُ بعينه كالمولودُ

واحدٌ من جنودك يا سيدي
يركع الآن ينشدُ جوهرةً تختبأ في الوحلِ
أو قمرأ في البحيراتِ ،
أو فرساً نافرأ في الغمامِ .

ها هو الآن ، لا نهر يغسل فيه الجروح
وينهل من مائه شربة تمسك الروح
لا منزل لا مقام
فعلى الراحلين السلام
والسلام على من أقام .

« تذييل »

يضم هذا الديوان القصائد الأخرية التي كتبها أمل دنقل (١٩٤٠ -
١٩٨٣) طوال فترة مرضه الذي صارعه أربع سنوات . من أوائل سبتمبر ١٩٧٩
إلى أواخر مايو ١٩٨٣ . ولم نجد لهذا الديوان عنوانا أكثر صدقا من « أوراق الغرفة
(٨) » ، فالديوان يتطوى على أوراق أمل الأخرية ، والغرفة رقم (٨) هي آخر
الغرف التي قام فيها أمل مرضه ، قرابة عام ونصف ، في الدور السابع من
« المعهد القومي للكرام » ، من فبراير ١٩٨٢ إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من
صباح السبت ، الحادي والعشرين من مايو ١٩٨٣ .

و « الجنوى » هي الورقة الأولى في هذا الديوان ، ولكنها الورقة الأخيرة في
رحلة إبداع أمل دنقل ، فقد كتبت في فبراير ١٩٨٣ ، وتتطوى على رؤيا النهاية
التي اكتملت دائريا ، بعد تأملات الغرفة (٨) عام ١٩٨٢ ، تلك التأملات التي
صاغتها قصائد : « ضد من » ، و « زهور » (وكانت الكتابة النهائية لكتبتها في
مايو ١٩٨٢) و « لعبة النهاية » (الكتابة النهائية في يونيو ١٩٨٢) و « السرير »
(نوفمبر ١٩٨٢)

قصائد متفرقة

وهناك قصائد أخرى — في هذا الديوان تنتمي إلى تاريخ مقارب ، منها « الطيور » و « الخيول » ، وقد كتبت كلتاهما عام ١٩٨١ ، ولكن أمل ظل يغير ويبدل فيهما — كمعاده في الحرص على أقصى درجات الدقة اللغوية ، وأقصى درجات التجانس البنائي — إلى أن أستقر على الصياغة الأخيرة للطيور في أكتوبر من العام الماضي ، والصياغة الأخيرة للخيول في أواخر ديسمبر من العام نفسه . وعلى العكس من هاتين القصيدتين ، مازالت قصيدته في الذكرى الرابعة لعمود حسن إسماعيل — إبريل ١٩٨١ — تنتظر اللمسة الأخيرة ، ولم تملك سوى أن استخراجها من آخر مسوداتها .

أما بقية قصائد هذا الديوان فترجع إلى فترة زمنية تمتد من عام ١٩٧٥ . لإتمثل هذه القصائد كل ما كتبه أمل دنقل في الرحلة السابقة على مرضه ، ولكنها كثر ما وجدته السيدة زوجته — عبلة الرويحي — من قصائد هذه المرحلة إنساقاً مع الدلالات الأساسية التي ينطوي عليها هذا الديوان .

إلى صديقة دمشقية

إذا سبائك قائد التتار

وصرت محظية ...

فشد شعرا منك في سعار

وافترض عذرية ..

واغرورقت عيونك الزرق السماوية

بدمعة كالصيف ، ماسية

وغبت في الأسوار ؟

فمن ترى يفتح عين الليل بابتسامة النهار ؟

ولم أجبك ، فالمباخر الشامية
والحب والتذكار
طفت على الحنى
لم تبق منى وهم ، أغنيه !
وقلّت ، والصمت العميق تدقه الأمطار
على الشوارع الجليدية :
عدتُ اليك .. بعد طول التيه في البحار
أدفن حزني في عمير الخصلات الكستنائية
أسير في جناتك الخضراء الربيعية
أهلّ ريق الشوق من غدرانها ،
أغسل عن وجهي الغبار !!
نافحتُ عنك قائد التار
رشقتُ في جواده .. مدية
لكننى خشيت أن تمسك الأخطار
حين استحالت في الدجى الرؤية
لذا استطاع في سحابة من الغبار
أن يخطف العذراء .. تاركاً على يدي الأزار

مازلتُ رغم الصمت والحصار
أذكر عينيك المضيئتين من خلف الحمار
وبسمة الثغر الطفولية ..
أذكر امسياتنا التصار
ورحلة السفح الصباحية
حين التقينا نضرب الأشجار
ونقذف الأحجار
في مساء فسقيه !
.. . .
قلتُ — ونحن نسدل الأستار
في شرفة البيت الأمامية :
لا تبتعد عني
أنظر الى عيني
هل تستحق دموعاً من أدمع الحزن ؟

كآلوههم ، كالفريه !

.. مابالنا نستذكر الماضي ، دعى الاظفار ..
لا تنبش الموتى ، تعرى حرمة الأسرار ..

ياكم تمت زمرة الأشرار

لو مزقوا تنورة في الخصر .. بنية

لو علموك العزف في القيثارة

لتطريهم كل أمر

حتى اذا انفضت أغانيك البمشقية

تناهبوك ؛ القادة الأقزام .. والإنصار

ثم رموك للجنود الانكشارية

يقضون من شبابك الاوطار !

الآن .. مهما يقرع الاعصار

نوافذ البيت الزجاجية ،

لن ينطفئ في الموقد المكدود رقص النار

تستدق الأيدي على وهج العناق الحار

كبي تولد الشمس التي تختار

في وحشة الليل الشتائية !

أيلول ١٩٦٦

وظلت الأيدي تراوح الملاعق الصغيرة
وظلت الشفاه تلعق الدماء!

عشاء

قصدتهم في موعد العشاء
تطلعوا لي برهة ،
ولم يرد واحد منهم تحية المساء !
... وعادت الأيدي تراوح الملاعق الصغيرة
في طبق الحساء
... ..
نظرت في الوعاء :
هتفت : « ويحكم .. دمي
هذا دمي .. فانتبهوا »
.. لم يأبهوا !

لكننى ..

حين استقرت عينه علىّ :

أدرت رأسى عنه ..

لم أقو على بريق عينيه الخفيف !

• • •

وحينا تحملى وأصدقائى فى الطريق .. موجةً المرح

ونسترد روحنا فى الضحكات والغناء .

أبصره .. فى الجانب الآخر . يرنو مستخفاً ، باسمها

فإن تجاوزناه .. ألقى عقب سيجارته على الطوار

وداسه مخمغماً ..

ثم اختفى ..

كأنه شبح !

وفى طريق العودة الليلى .. ألقاهُ

يخرج من جوف الظلام فجأة .. على غير انتظار .

كأن باباً — فى الشتاء — مغلِقاً .. قد انفتح

كأن تياراً من الهواء

البطاقة السوداء

« إلى أنور المعداوى »

أراه من نوافذ المترو .. على محطات الوقوف

مستنداً بكتفه اليسرى إلى الجدار

يدير فى أصبعه سلسلة

فضية الأطار

يرقب — باسمها — تزامح المناكب القصير

تمسح عيناه زجاج النافذات الأبيض الشفيف ..

كأنه يبحث عن أحد .

كأنه يرقب من شرفته ،

هرولة السارين فى تساقط الأمطار والبرد !

يكنس من أعصابى الدفاء .. وينسأه !

.. يمر لى ، مدترا بالمعطف الثقيل ،

هاديء الخطى ،

تلمع فى الظلام عيناه

يسأل — هامساً — عن الوقت بلا اكترأث

ويختفى ..

كأن احدى الشجرات احتضنته ..

صيرته بعض ظلها الكثيف !

وفى سويعات الضحى المشتمسة المعتدلة

حين تنقر العصافير ثمار التوت ،

مستدفقة من لذعة الخريف

أجلس فى المائدة المنزلة ..

محدثا صديقتى ..

فى ذلك المقهى الريبعى الأليف

— حيث يمر النيل راعيا مغنياً

ويرفع الصباح راية الفرح —

مرتشفين من عصير الكلمات .. والنهار

معتنقين فى ضمائر الحروف ..

وفجأة ..

يسقط من يدى القدح !

ألمح ممد ساقيه فى المائدة المقابلة

يرمقنى من خلف نظارته السوداء خفية ،

مخبتاً بسمته خلف صحيفة الصباح .. المهملة !

• • •

وعندما دخلت « باراداي » فى اليوم الاخير

رأيت .. يخرق المقاعد الملقاة .. والأضواء

ويفتح الصنبور

مشعث الشعر ، يضح قلبه بالرعب واللهاث

.. تساقطت — قبل اغتساله — على الحوض النقى بقعة

لكنه لم يكثرث !

رجل فى المرأة شعره الغزير

ثم دنا من جمع اصدقائى الصغير

قلبا عينين ثعلبيتين في الوجوه ، صامتا
وفجأة ..

ألقى الينا ورقة دون أكثرات
ودون أن يلتفتا ؛

مضى الى الخارج ..
تاركا على المنضدة الحيرى بطاقته
.. كانت بطاقة سوداء ..

... ..

.. ومات في المساء !

لا أبكيه

مصر لا تبدأ من مصر القرية
انها تبدأ من أحجار « طيبة »

انها تبدأ منذ انطبعت
ثوبها الأخضر لايلى ، اذا

انها ليست عصورا فهى الكلكل
أرضها لا تعرف الموت فما الموت

تعبر القطرة في النيل فمن
فاذا البحر طواها ، نفرت
وأعاد الماء للنيل هروبه
فسقى النيل به - ثانية -

قدم الماء على الأرض الجديدة .
خلعته .. رفعت الشمس ثقبه .
في الواحد ، في الذات الرحبية .
قريبة .. أخرى .. قريبة .
حولها الرقص وأعياد الخصوبة .
وأسترد الماء في الوادى دروبه .
وأسترد الماء في مصر العذوبة .
ظماً البحر اذا ما مد كوبه !

هكذا شعبك يامصر؛ له
مات فيه الموت يوما .. فابتنى
أبدا يبني ويأقن غيره
فاذا راح أبتى ثم ابتنى
وكان الذل في الشعب ضريبة
وكان الدم نيل آخر
كل أبنائك يامصر مضوا
الذي لم يقض في الحرب قضى
والذي لم يقضى في الفأس قضى
اسمعى في الليل أنات الآسى
انها اسماء من ماتوا .. ولم
سيعودون ، فلا تبكى ، فما
أترى تبكين من مات .. لكى
والذى مات لكى ينفس في
ولكى يختضن الطفل حقيبة
ولكى يهوى حجاب الخوف عن

دوره الماء ونحوه الرطبية
هرما للموت يستجل غيره
ناشرا فيه أساه وحروبه
فانثنى الغازى اليه بالعقوبة !
وأبتسام الصبر قد صار ذنوبه
تستقى منه الرمال المستطية
شهداء الغد في نبل وطيبة
وهو يعطى الفأس والغرس وجيهه
حامللا أحجار اسوان الرهيبه
اسمعى حزن المواويل الكئيبه
يرحوا القلب فقد صاروا ندوبه
يرتضى المحبوب ان تبكى الحبيبه
تستعيدى راية الفكر السليبه
كل قلب ناشئ حرف العروبه
ولكى تفتات بالعلم الشيبه
روح ربات الجمال المستريه

ولكى يرفع سيف العدل في
والذى لولاه مامرت لنا
اترى تبكين يامصر؟ أنا
شرف الأبناء أن يمضى أب
شرف للأب أن يمضى فلا
انما يبكى ضعاف الناس ان

وجه ابناء الممالك الغربية
— في عبور النار للحرب — كئيبه
لست أبكيه وان كنت ربيبه
بعد أن قدم للمجد نصيبه
تعتري أبناءه الروح الزغبه
عجزوا ان يدركوا حجم المصيبة

م ١٩٧٣

وينوى من شفثيه القول !

الآف الارجه في وجهي ..

لكنك لا تدرين

أى وجوه تتدلى منها بسمات الزيف

ضائعة المعنى ، متأكلة الانف

... ..

أرشق في الحائط حد المطواة

والموت يهب من الصحف الملقاة

أتحزراً في المرآة

يصفعني وجهي المتخفي بقناع الذل

أصفعه .. أصفع هذا الظل

تكل الناس يفارقهم ظلهم عند الليل

الا ظلي

ينسل معي ، يتمدد فوق وسادي المبتل !

البسمة حلم

والشمس هي الدينار الزائف

في طبق اليوم

من يمسخ عنى عرقى في هذا اليوم الصائف ؟

العراف الأعمى

قولى من أين ؟

الصمت نصيباً ..

والكلمات بلا عينين !

... ..

للمنى الليل .. وأدخلنى السرداب

(قدمائى نسيتهما عند الاعتاب

ويدائى تركتهما فوق الأبواب)

انك لا تدرين

معنى ان يمشى الانسان .. ويمشى ..

(بحثا عن انسان آخر)

حتى تتأكل في قدميه الأرض ،

والظل الخائف

يتمدد من تحتي ، يفصل بين الأرض .. وبينى !

... ..

وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف :

(حاء .. باء ..)

(حاء .. راء .. ياء .. هاء)

الحرف السيف

مازلت أروود بلاد اللون الداكن

أبحث عنه بين الأحياء الموقى .. والموقى الأحياء

حتى يرتد النبض الى القلب الساكن

لكن .. !!

... ..

وأخيراً عدت

أحمل في صدري صمت الطاعة

وبلا .. ساعة

ماجدوى الساعة في قوم قد فقدوا الوقت ؟

ورجعت بدون كتاب غير كتاب الموت ،

وضجيج الناس

أغنية .. كغطيط نعاس :

« لم نولد لنهز الدنيا »

« لم نخلق لنخوض معارك ! »

« نحن ولدنا ..

للالهام ..

للأحلام ..

للصلوات .. »

...

ضميني في صدرك .. حتى اتنبأ

وأنا لا أكتب .. أو أقرأ !!

— ١٩٧٤ —

أنشى وحيدة .. تلذ .
... وأخَلَدَ الجيرانُ للسُّكونِ .
وقطَّهَمُ يجلسُ — في الشبايكِ — ناعس العيون
يلعقُ في فرائِهِ المُنقَطَ البَيَاضِ
يلعقُ — عن فرائِهِ — عذابَ قطنى الممتدِّ
.. سعت إليه ذات ليلة ،
ولم تسلَّهُ ثوباً للزفافِ !
لأنَّ ثوبَ العرسِ

— في معارض الأزياء —

نجمة تدور في سراب !!

نجمة السراب

صديقتى شدت على يدي ..
وقالت : لن أزورَ غُرْفَتَكَ
إن شئت .. فلننقِ معاً إلى الأبد .
ولم أردُ

لأن ثوب العرس — في معارض الأزياء —
نجمة تدور في سراب .

ولم أزل أدقُّ باباً بعد بابٍ
وخطوتى تنهيدة ، وأعيني ضباب
حتى بلغت غرفتى في آخر المطاف
وقطنتى تلذ ..

مواؤها : عذاب أنشى ليلة المخاض

أيدوم النهر

أيدوم لنا بستان الزهر
والبيت الهاديء عند النهر
ان يسقط خائفا في الماء
ويضيع .. يضيع مع التيار
وتفرقنا الأيدي السوداء ..
ونسير على طرقات النار ..
لا نجروُ تحت سياط القهر
ان نلقى النظرة خلف الزهر
ويغيب النهر .

أيدوم لنا البيت المرح
نتخاصم فيه ونصطلح
دقات الساعة والمجهول
تتباعد عني حين اراك
وأقول لزهر الصيف .. اقول
لو ينمو الورد بلا اشواك
ويظل البدر طوال الدهر
لا يكبر عن منتصف الشهر
آه يا زهر ..
لو دمت لنا ..
أو دام النهر .

مقدمة بقلم الدكتور عبد العزيز المقالح ٥

٤٣	مقتل القمر
٤٥	الاهداء
٤٧	براءة
٥٠	طفلتها
٥٧	المطر
٦٠	قلبي والعيون الخضضر
٦٥	يا وجهها
٦٨	مقتل القمر
٧٢	شيء يحترق
٧٥	قالت
٧٧	ماريا
٨٢	استريجي
٨٥	العار الذي نتقيه
٨٧	رسالة من الشمال

مقتل القمر
الاهداء
براءة
طفلتها
المطر
قلبي والعيون الخضضر
يا وجهها
مقتل القمر
شيء يحترق
قالت
ماريا
استريجي
العار الذي نتقيه
رسالة من الشمال

١٤٩	الموت في لوحات
١٥٣	بطاقة كانت هنا
١٥٧	ظماً .. ظماً
١٦١	الحزن لا يعرف القراءة
١٦٤	بكائية الليل والظهيرة
١٦٩	اشياء تحدث في الليل
١٧٢	العشاء الاخير
١٨٠	حديث خاص مع ابي موسى الاشعري
١٨٦	من مذكرات المتنبى
١٩١	تعليق على ما حدث
١٩٣	في انتظار السيف !
١٩٧	فقرات من كتاب الموت
٢٠١	الحداد يليق بقطر الندى
٢٠٥	صفحات من كتاب الصيف والشتاء
٢١٠	تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات
٢١٣	ميتة عصرية

٩٢	اوتوجراف
٩٤	شبيبتها
٩٧	العينان الخضراوان Petit Terianor
٩٩	الملهى الصغير
١٠٥	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٠٧	ديباجة
١٠٨	بكائية ليلية
١١٠	كلمات سبارتكوس الاخيرة
١١٧	الأرض .. والجرح الذي لا يفتح
١٢١	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٢٧	ايلول
١٣١	السويس
١٣٥	يوميات كهل صغير السن
١٤٣	اجازة فوق شاطئ البحر
١٤٦	موت مغنية مغمورة

٣٢١	أقوال جديدة عن سرب البسوس . . .
٣٢٣	مقتل كليب
٣٢٤	لا تصالح
٣٣٧	أقوال اليمامة
٣٤١	مراثي اليمامة
٣٤٩	اشارات تاريخية
٣٥٤	تذييل
٣٥٧	اوراق الغرفة (٨)
٣٦٠	الورقة الاخيرة الجنوبي
٣٦٨	ضد من
٣٧٠	زهور
٣٧٢	السريبر
٣٧٥	لعبة النهاية
٣٧٨	ديسمبر
٣٨٣	الطيور

٢١٨	الوقوف على قدم واحدة
٢٢١	رياب
٢٣٣	حكاية المدينة الفضية
٢٤١	الضحك في دقيقة الحداد
٢٤٨	الموت . . في الفراش
٢٥٥	لا وقت للبكاء
٢٦١	العهد الآتي
٢٦٥	صلاة
٢٦٧	سفر التكوين
٢٧٤	سفر الخروج
٢٨١	سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس
٢٨٦	سفر الف دال
٢٩٨	مزامير
٣٠٨	من اوراق ابو نواس
٣١٥	رسوم في هو عربي
٣١٨	خاتمة

- الخيول ٣٨٧
 مقابلة خاصة مع ابن نوح ٣٩٣
 خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين ٣٩٧
 بكائية لصقر قریش ٤٠٠
 قالت امرأة في المدينة ٤٠٤
 الى محمود حسن اسماعيل في ذكراه ٤٠٨
 تذييل ٤١٣
 قصائد متفرقة ٤١٥
 الى صديقة دمشقية ٤١٧
 عشاء ٤٢٢
 البطاقة السوداء ٤٢٤
 لا أبكيه ٤٢٩
 العراف الاعمى ٤٣٢
 نجمة السراب ٤٣٦
 ايدوم النهر ٤٣٨